سلسلة تراث العلماء (١)

وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام

تأليف

السيد عبد الرزاق المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
(١٥٦)

وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

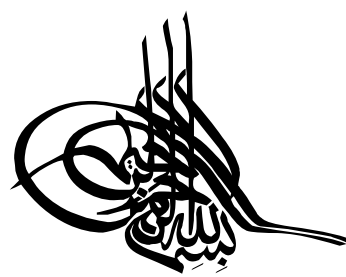

وفاة
الصدّيقة الزهراء عليها السلام

عبد الرزاق الموسوي المقرم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الحمد والمجد والصلاة على النبي محمد وعترته أمناء الوحي وهداة الأمة.

وبعد: فقد روى النوفلي عن الصادق عليه السلام أن رسول الله قال: ما من قوم اجتمعوا في مجلس ولم يذكروا الله ولم يصلّوا عليّ إلا كان ذلك المجلس عليهم حسرة ووبالاً[1]. وقال صلى الله عليه وآله: ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق[2].

وعن ابن عباس أن النبي: قال خلق الله الناس من أشجار شتّى وخلقت أنا وعلي بن أبي طالب من شجرة واحدة فما قولكم في شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين

---

(١) الوافي لملا محسن الفيض: ج٢، ص٢١٦.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ص٩٦.

ثمارها وشيعتنا أوراقها[١]. فمن تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة ومن تركه هوى في النار وفي هذا يقول أبو يعقوب البصري:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة ما مثلها أبداً في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر والشيعة الورق الملتف بالثمر
هذا مقال رسول الله جاء به أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهم أرجو النجاة غداً والفوز في زمرة من أفضل الزمر[٢]

وروى ابن شاذان عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أحب ابنتي فاطمة فهو معي في الجنة ومن أبغضها فهو في النار.

حب فاطمة ينفع في مائة موطن أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والمحاسبة، فمن رضيَتْ عنه رضِيتُ عنه ومن غضبَتْ عليه غضِبْتُ عليه ومن غضِبْتُ عليه غضِبَ الله عليه ويل لمن ظلمها وذريتها وشيعتها[٣].

إن الله خلق نور فاطمة قبل خلق السماوات والأرضين فقيل له: أليست هي إنسية؟ قال: إنها حوراء إنسية أودعها الله في

---

(١) ذكر الحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٦٠، حديث الشجرة والفرع واللقاح والثمرة والورق وأن أصل الشجرة في جنة عدن وصحح الحديث.
(٢) بشارة المصطفى: ص٤٩.
(٣) البحار: ج٧، ص٣٨٢، في باب ثواب حبهم.

صلب آدم وأخرجها من صلبي فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة[١].

تمثلت رقيقة الوجود لطيفة جلّت عن الشهود
تطورت في أفضل الأطوار نتيجة الأدوار والأكوار
تصورت حقيقة الكمال بصورة بديعة الجمال
فإنها الحوراء في النزول وفي الصعود محور العقول[٢]

وفي حديث الصادق عليه السلام: إن الله كان ولا شيء فخلق خمسة من نور جلاله ولكل واحد منهم اسم من أسمائه فهو الحميد وسمي محمد وهو الأعلى وسمي أمير المؤمنين علي وله الأسماء الحسنى فاشتق منها الحسن والحسين وهو فاطر فاشتق لفاطمة اسماً من أسمائه فلما خلقهم جعلهم في الميثاق فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبيح فذلك قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾، ولما خلق آدم عليه السلام ونظر إليهم عن يمين العرش قال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتي وخاصتي خلقتهم من نور جلالي وشققت لهم اسماً من أسمائي فقال: يا رب بحقك عليهم علمني أسماءهم فقال تعالى: يا آدم هم عندك أمانة سرّ من سرّي لا يطلع عليهم غيرك إلّا بإذني قال: نعم يا

---

(١) تفسير فرات: ص١٠.

(٢) من أرجوزة الحجة آية الله محمد حسين الأصفهاني (قدس سره).

رب فأخذ عليه العهد بذلك ثم علمه أسماءهم وعرضهم على الملائكة ولم يكن لهم علم بأسمائهم فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم.

ثم أُمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة لله تعالى إذ كان ذلك بحق له[1]:

سادة لا تريد إلّا رضى الله ... كما لا يريد إلّا رضاها
خصّها من كماله بالمعاني ... وبأعلا أسمائه سمّاها
لم يكونوا للعرش إلّا كنوزاً ... خافيات سبحان من أبداها
كم لهم ألسن عن الله تنبي ... هي أقلام حكمة قد براها
وهم الأعين الصحيحات تهدي ... كل عين مكفوفة عيناها
علماء أئمة حكماء ... يهتدي النجم باتباع هداها
قادة علمهم ورأي حجاهم ... مسمعا كل حكمة منظراها
ما أُبالي ولو أُهيلت على الأر ... ض السماوات بعد نيل ولاها
من يباريهم وفي الشمس معنى ... مجهد متعب لمن باراها
ورثوا من محمد سبق أُولا ... ها وحازوا ما لم تحز أُخراها[2]

---

(١) تفسير فرات: ص١١، ط النجف.

(٢) للشيخ محمد كاظم الأزري رضوان الله عليه.

الزواج من خديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب امرأة حازمة جلدة شريفة غنية من أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وكانت ذات مال كثير تستأجر الرجال من قريش وتضاربهم على شيء من الربح ولما بلغها عن رسول الله ﷺ صدق الحديث وكرم الأخلاق والمحافظة على الأمانة عرضت عليه الخروج إلى الشام ليتاجر لها على أن تعطيه أفضل ما تعطي غيره[1].

---

(١) سيرة ابن هشام بهامش الروض الأنف: ج١، ص١٦١، وفيها ص١٢٢ أن «أم خديجة» فاطمة بنت زائد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر «وأم فاطمة» هالة بنت عبد مناف ابن الحرث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر «وأم هالة» قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وفي الروض الأنف: ج١، ص١٢٤ «وأم قلابة» أميمة بنت عامر بن الحرث بن فهر.

فخرج صلى الله عليه وآله وسلم مع غلام لها يقال له «ميسرة» إلى سوق حباشة بأرض اليمن بينه وبين مكة ست ليالٍ كانوا يتبايعون فيه ثلاثة أيام من أول رجب كل عام فابتاع بزّاً ورجعا إلى مكة وربح ربحاً حسناً. وفي السفرة الثانية أرسلته مع «ميسرة» إلى الشام فربح أكثر مما ربح غيره وأخبرها الغلام بما شاهده من الآيات الباهرة وإيمان الرهبان به وإخبارهم بما يكون من أمره[١].

فأوقفت ابن عمها ورقة بن نوفل على ما أخبر به ميسرة فأكد ذلك لأنه كان قارئاً للكتب الإلهية فازدادت رغبتها في التزويج من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ردت الكثير من أشراف قريش الذين رغبوا في الاقتران بها، ولم تجد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التباعد عما رغبت فيه وقد أعلم عمَّه أبا طالب بما أرادته خديجة فذهب مع أشراف قومه إلى عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى لأن أباها مات قبل حرب الفجار[٢] فقال أبو طالب في خطبته:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معدّ وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه

---

(١) السيرة الحلبية: ج١، ص١٦١ في باب السفر إلى الشام ثانياً.

(٢) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ج١، ص١٠٦، وفيها المتفق عليه أن المزوج لها عمها عمرو وذكر في السيرة الحلبية: ج١، ص١٦٤ جمعاً بين الأقوال وهو حضور كل من عمها وأخيها عمرو وابن عمها ورقة فلذلك نسب التزويج إلى كل واحد منهم ولكن الصحيح أن المزوج هو عمها.

وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا حكام الناس، وإن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوازن برجل إلّا رجح عليه شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم «خديجة» وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشّاً[1].

فقال ابن عمها ورقة بن نوفل: الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضّلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش أني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبد الله وذكر المهر.

ورغب أبو طالب مصادقة عمها على هذا فقال عمرو بن أسد عم خديجة: اشهدوا عليّ معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد.

فتهلل وجه أبي طالب فرحاً وقال: الحمد لله الذي أذهب عنا

---

(١) في السيرة الحلبية: ج١، ص١٦٥، كان الصداق من ذهب ومجموعه خمسمائة درهم شرعي لأن الأُوقية تساوي أربعين درهماً والنش نصف أُوقية.

الكرب ودفع عنا الغموم[١].

ونثر حمزة بن عبد المطلب دراهم على من حضر مجلس الخطبة وخرجت جوارٍ من الدار فنثرن على من حضر وألقي على الناس طيب لا يعرفون من طيبهم به حتى إن الرجل يقول لصاحبه: من أين لك؟ فلا يدري به غير أنه يقول: هذا طيب «محمد» وبعد هذا ظهر الحديث بأن الملقي عليهم جبرئيل عليه السلام وقال أبو جهل: رأينا الرجال يمهرون النساء ولم نسمع بأن النساء يمهرن الرجال فصاح به أبو طالب: يا لكع الرجال مثل «محمد» يعطى ويهدى إليه ومثلك يهدي فلا يقبل منه.

فقال عبد الله بن عثم كما في الكافي في باب خطبة التزويج:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرى لك الطير فيما كان منك بأسعد
تزوجته خير البرية كلها ومن ذا الذي في الناس مثل محمد
وبشر به البران عيسى ابن مريم وموسى بن عمران فيا قرب موعد
أقرت به الكتّاب قدماً بأنه رسول من البطحاء هادٍ ومهتد

ثم إن خديجة قالت لابن عمها ورقة: أعلن بأن جميع ما تحت يدي من مال وعبيد فقد وهبته «لمحمد» يتصرف فيه كيف شاء فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر

---

(١) السيرة النبوية لابن دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج١، ص١٠٦.

العرب إن خديجة تشهدكم على أنها وهبت «لمحمد» نفسها ومالها وعبيدها وجميع ما تملكه يمينها إجلالاً له وإعظاماً لمقامه ورغبة فيه وأنفذت إلى أبي طالب غنماً كثيراً ودنانير ودراهم وثياباً وطيباً ليعمل الوليمة.

فأقام أبو طالب لأهل مكة وليمة عظيمة ثلاثة أيام حضرها الحاضر والبادي، ولمّا تمّ ما صنعته خديجة من معداتِ الزواج أرسلت إلى أبي طالب تعلمه بذلك وتطلب منه زفاف محمد فخرج النبي ﷺ بين أعمامه وعليه ثياب من قباطي مصر وغلمان بني هاشم بأيديهم الشموع والمصابيح والناس ينظرون إلى النور الإلهي يسطع إلى عنان السماء من غرته وجبينيه والعباس بن عبد المطلب بينهم يقول:

يا آل فهر وغالب ... أبشروا بالمواهب
وافخروا يا قومنا ... بالثنا والرغائب
شاع في الناس فضلكم ... وعلا في المراتب
قد فخرتم بأحمد ... زين كلّ الأطايب
فهو كالبدر نوره ... مشرق غير غائب
قد ظفرت خديجة ... بجليل المواهب
بفتى هاشم الذي ... ما له من مناسب
جمع الله شملكم ... فهو رب المطالب

أحمد سيد الورى خير ماشٍ وراكب
فعليه الصلاة ما سار عيس براكب

وأُحضرت لديه خديجة وكانت امرأة طويلة عريضة بيضاء لم يرَ في عصرها ألطف منها ولا أحسن وعلى رأسها تاج مرصّع بالدر والجوهر وفي رجليها خلخالان من ذهب فيهما فيروزج وفي عنقها قلائد من زبرجد وياقوت فقالت صفية بنت عبد المطلب كما في البحار: ج٦، ص١٠١٧ إلى ص١٠١٩:

جاء السرور مع الفرح ومضى النحوس مع الترح
بمحمد المذكور في كلّ المفاوز والبطح
لو أن يوازن أحمد بالخلق كلهم رجح
ولقد بدا من فضله لقريش أمر قد وضح
تم السعود لأحمد والسعد منه ما برح
بخديجة بنت الكمال وبحر نائلها طفح

وكان التزويج منها في العاشر من ربيع الأول وعمره الشريف خمس وعشرون ولخديجة أربعون سنة[١].

ولم يتزوج عليها امرأة حتى ماتت وولدت له ذكرين وأربع بنات وأول من ولدته القاسم وبه كني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مات لسبعة

---

(١) مسار الشيعة للشيخ المفيد وتقويم المحسنين للفيض.

أيام من ولادته وعبد الله ولد بعد البعثة فلقب بالطيب والطاهر[١].

وأُولى البنات زينب ولدت قبل النبوة بعشر سنين وبعد ثلاث سنين من ولادتها ولدت رقية[٢] ثم أم كلثوم واسمها آمنة[٣] وكانت تعقّ عن الغلام شاتين وعن الجارية شاة[٤].

واتفق المؤرخون إلّا من شذ على أن هؤلاء الأولاد ولدتهم خديجة من رسول الله ﷺ وممن تعرض لذلك:

ابن جرير في التأريخ ج٢، ص١٩٧، وج٣، ص١٧٥ وابن الأثير في الكامل ج٢، ص١٤، وأبو الفدا في المختصر ج١، ص١٥٣، وابن كثير في البداية: ج٢، ص٢٩٤، وابن قتيبة في المعارف ص٦١، وأبو الحسن في تاريخ الخميس: ج١، ص٣٠٨، والمسعودي في مروج الذهب: ج١، ص٤٦ وص ٤٠٧ والسبط في تذكرة الخواص: ص١٧٢، والمحب الطبري في ذخائر العقبى: ص١٥١، والحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٦١، والشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف: ص٤٦،

---

(١) تأريخ الخميس: ج١، ص٣٠٨.

(٢) الاستيعاب بترجمتهما.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٠ ط إيران.

(٤) السيرة الحلبية: ج٦، ص٣٤٦ في باب أولاده.

وابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن: ج٢، ص٢٠٧، وابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة بترجمتهن ونثر اللآلي للألوسي ص١٦٢.

واعترف به من علماء الإمامية الشيخ الكليني في الكافي في باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتعقب عليه الفيض في الوافي وقال به الطبرسي في إعلام الورى ص٨٦ وابن شهر آشوب في المناقب: ج١، ص١١٠ والمجلسي بعد أن اختاره في مرآة العقول ج١، ص٣٥٢ حكاه عن خصال الصدوق وعن المنتقي ورواه عن ابن عباس.

النبي ﷺ يعتزل خديجة

جاء الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ كان جالساً بالأبطح مع جماعة من قومه وذلك في شعبان إذ هبط عليه الأمين جبرئيل يقرؤه من الله السلام ويأمره أن يعتزل خديجة أربعين صباحاً، فبعث عمار بن ياسر إلى خديجة يعلمها أمر ربه وأنه لا بدّ من إنفاذه ولا يكون إلّا خيراً وبشرها بأن الله تعالى يباهي بها كرام ملائكته.

ثم أقام النبي ﷺ في منزل فاطمة بنت أسد أربعين صباحاً وبعدها هبط عليه جبرئيل وميكائيل معهما طبق مغطى بمنديل وضعه أمامه وأمره جبرئيل أن يكون إفطاره من هذا الطعام.

وكان ﷺ من عادته أن يفتح الباب لمن يريد الإفطار وفي تلك الليلة أمر بسد الباب وقال: هذا الطعام محرم على غير الأنبياء وكشف جبرئيل عن الطبق فإذا فيه عذق من رطب وعنقود من عنب فأكل النبي منهما وشرب من الماء ومد يده للغسل فأفاض عليها الماء جبرئيل وارتفع الطعام مع الإناء.

وأمره جبرئيل أن يأتي منزل خديجة فإن الله سبحانه آلى على نفسه أن يخلق من صلبه في هذه الليلة ذرية طيبة فقام النبي من وقته إلى منزل خديجة وقرع الباب فقالت خديجة: من القارع حلقة لا يقرعها إلّا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فناداها النبي: افتحي الباب فأسرعت مستبشرة وفتحت الباب فدخل رسول الله (ممتثلاً أمر رب العالمين وقضى الله ما أراد) فحملت خديجة بفاطمة الزهراء عليها السلام[1].

ومن أسرار هذا الأمر الربوبي مزيد العناية الإلهية بقداسة البضعة الزهراء فإنه أُريد لذات النبوة النزيهة عن أي شائبة المبالغة في التجرد عن لوازم عالم الملك حتى يرجع بكلّه إلى مبدئه القدسي من صقع البساطة وهنالك يتلقى المنحة المباركة بالفيض الأقدس وبعد أن تم ما أُريد به أُذن له بإنفاذ الأمر المطاع بعد انعقاد النطفة الكريمة من ثمر الجنة.

وهذه عناية خاصة بسيدة نساء العالمين إذ لم يعهد مثلها في بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن كلّاً منهن لم تحط ببعضه وما ذلك إلّا لتفرد الصدّيقة في مبوَّأ القدس والنزاهة.

ولقد شاهدت خديجة من نسوة مكة عذلاً واعتزالاً عنها منذ حظيت بنبيّ العزّ والسلام ذلك الذي أشرق العالم بنوره المؤتلق

---

(١) البحار: ج٦، ص١١٩ في آخر باب التزويج من خديجة.

وأخصبت الأرض بعد جدبها حتى غمر العالم كله فضله الفياض وقلن فيها (ما نضحت آنيتهن) وهي التي لا تدافع عن فضل شامخ وكرم باسق تتفيَّأ بظله محاويج قريش وعامة العرب ولها التبصر بدقائق الأمور والاستشراف على حقائق الأشياء حتى لقبت (بالطاهرة)[١] وسيدة قريش[٢] وجاءتها البشارة من الجليل عز شأنه على لسان نبيه ﷺ أن لها بيتاً في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[٣] وبه امتازت على نساء العالمين مضافاً إلى أنه أكرمها بالسيدة البتول والحوراء الإنسية.

فكانت سلام الله عليها وهي حمل تلقي إليها أحاديث التسلية والصبر على ما قاسته من كوارث ومحن يوم تزوجت من رسول الله ﷺ وكانت تكتم ذلك عليه، وفي بعض الأيام سمعها تحدث وليس في البيت أحد فقال: لمن تحدثين؟ قالت: الجنين في بطني يحدثني فبشرها عن جبرئيل بأنها أنثى ومنها الأئمة الأطهار خلفاء الله في أرضه عند انقضاء وحيه وما برحت خديجة تسمع من الصدّيقة الطاهرة حديثها إلى أن ولدتها طاهرة مباركة[٤].

---

(١) ا لاستيعاب بترجمة خديجة.

(٢) السيرة الحلبية: ج١، ص١٦٣ في باب التزويج منها.

(٣) تيسير الوصول للشيباني: ج٣، ص٢٥٦ عن البخاري ومسلم والقصب اللؤلؤ المجوف.

(٤) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٢٤.

كانت تحدث أُمَّها وأُمُّها تكتمه إذ النبي دخلا
فقال يا بنت خويلد لمن تحدثين والبيت خلا؟
فقالت الجنين في بطني غدا يؤنسني حديثه قال بلى
هي ابنتي وإنها الأنثى التي قد فقدت بفضلها المماثلا
والله مذ آن إليها وضعها أربع نسوة إليها أرسلا
لكي يلين من خديجة كما تلي النساء ولئلا تذهلا[1]

(١) سوانح الأفكار في منتخب الأشعار للخطيب الفاضل الأستاذ السيد محمد جواد شبر مخطوط.

الولادة

وبينا خديجة في حجرتها حامدة شاكرة لله سبحانه لما أفاض عليها من آلائه الجزيلة وهي الحظوة بسيد الأنبياء وخاتم الرسل المنتجب من الشعاع الأقدس محمد بن عبد الله ﷺ وأكرمها بالذرية الطيبة أُمناء الوحي المبين فأخذها الطلق واشتد بها الحال وتصعب عليها فتح الباب وكلما عالجته لم ينفتح فأمسكت متحيرة لا تدري ماذا يؤول إليه أمرها فلم تشعر إلا بأربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم أرسلهن الله تعالى إليها ليلين منها ما تلي النساء من النساء عند الولادة وهن: سارة وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وكلثم أخت موسى بن عمران.

فوضعت فاطمة الزهراء ميمونة مباركة زكية وقد أشرق نورها حتى طبَّق بيوت مكة وعمَّ شرق الأرض وغربها، ثم دخلن عليها عشر نسوة معهن طست وإبريق فغسلتها التي بين يديها ولفتها بثوبين أبيضين يشمّ منهما طيب حسن واستنطقتها فقالت فاطمة عليها السلام:

أشهد أن لا إله إلّا الله وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء وأن بعلي سيد الأوصياء وولدي سادات الأسباط[١] وتباشرت وسلمت على كل واحدة منهنَّ وسمتها باسمها وأخذتها خديجة فألقمتها ثديها فكانت تزداد كل يوم نوراً وقوة وكمالاً وتباشرت الحور بولادتها وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك[٢]، وكانت ولادتها في العشرين من جمادى الثانية[٣] بعد النبوة بخمس سنين[٤] وبعد الإسراء بثلاث سنين[٥].

---

(١) أمالي الصدوق ص٣٥٣، مجلس ٨٧ ودلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ص٩ طبع النجف وروضة الواعظين ص١٢٤ ومدينة المعاجز ص١٣٥.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٥٣.

(٣) نص عليه المفيد في مسار الشيعة وابن جرير في دلائل الإمامة: ص١٠، النجف والشيخ الطوسي في مصباح المتهجد: ص٥٥٤ ط الهند، وابن شهر آشوب في المناقب ج٢، ص١١٢، والكفعمي في المصباح: ص٢٧٠، ط الهند، والسيد ابن طاووس في الإقبال، والمجلسي في مزار البحار: ص٢٩، والفيض في تقويم المحسنين، والطبرسي في إعلام الورى: ص٩٠.

(٤) على هذا الأكثر، منهم المفيد في مسار الشيعة والكليني في أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج١، ص٣٨١، وابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص١١٢، وابن جرير في دلائل الإمامة: ص١٠، والطبرسي في إعلام الورى ص٩٠، والفتال في روضة الواعظين: ص١٢٤، والإربلي في كشف الغمة: ص١٣٥، ولكن في مصباح المتهجد للطوسي وتقويم المحسنين للفيض بعد المبعث بسنتين وفي مستدرك الحاكم بعده بسنة.

(٥) روضة الواعظين: ص١٢٤، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٢.

في هذا اليوم المبارك آن لِلُّطف الأزلي أن يشرق على الأكوان بفيضه الأقدس وحق (لتهامة) أن تعود قنديل هذا النور الإلهي فيضيء في مشكاة القداسة وزجاجة الطهارة عن أدناس الجاهلية ورجاسة العادات الوثنية فظهر صدف الإمامة متشظياً من أصل الرسالة الكبرى وبين طابقيها جواهر الخلافة الفردة تتخلل ألق المبدأ وعبق المنتهى وهي تضيء فتضوع في بلج الحق وأرج الفضيلة بكونها الرابط بين الحادث والقديم وإمكانها الإشراق الفياض فبرزت سلام الله عليها وهي عنصر النزاهة وآصرة الشرف وأصل الجلالة وشارة العلم ومثال الفضائل كلها وابتهج بها عالم الملك كما كان يزهو بها عالم الملكوت منذ الأزل:

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فأبدت عاليات الأحرف
وقد تجلى من سماء العظمة ... من عالم الأسماء أسمى كلمة
بل هي أُم الكلمات المحكمة ... في غيب ذاتها فكانت مبهمة
في أفق المجد هي الزهراء ... للشمس من زهرتها الضياء
بل هي نور عالم الأنوار ... ومطلع الشموس والأقمار
يا قبلة الأرواح والعقول ... وكعبة الشهود والوصول
من بقدومها تشرفت مِنى ... ومن بها تدرك غاية المُنى

٢٤ ..... وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

أسماؤها وصفاتها

سماها رسول الله ﷺ فاطمة وحياً من الله تعالى على لسان ملك بعثه إليه يخبره أنه فطمها بالعلم وفطم شيعتها من النار وأنه وقع في علمه سبحانه أن النبي ﷺ يتزوج في الأحياء وأنهم يطمعون في وراثة هذا الأمر من بعده فسماها فاطمة لما أخرج منها ذرية طيبة تكون الخلافة فيهم فقطعهم عما طمعوا فيه[١].

كما أنه جلّ شأنه قطع عنها الدم فلم تر مدة حياتها ما يعتري النساء عند العادة والنفاس تنزيهاً لها من جميع أنواع الرجس وتفضيلاً لمن ارتكض في بطنها من طاهرين مطهرين لا يصحبون خبثاً ولا يُشفعون بقذارة فمن ذلك سميت البتول[٢] كما سميت في السماء المنصورة[٣] والحوراء والصدّيقة الكبرى[٤] والطاهرة

---

(١) هذا مضمون أحاديث في علل الشرائع: ص٧٠، باب ١٤٢.

(٢) مصباح الأنوار.

(٣) معاني الأخبار للصدوق وجاء في زيارة أمير المؤمنين يوم ولادة النبي ﷺ.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٢.

والزكية والميمونة والرضية والمرضية[١] والمحدَّثة[٢]، ولفرط حنانها على أبيها وحبها له المنتزع من كمال معرفتها به وعرفانها بحقيقة أمره بما تقاصر عنه الكاملون كنّيت (أم أبيها)[٣].

(١) أمالي الصدوق: ص٣٥٣.
(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٧.
(٣) كشف الغمة: ص١٣٩.

الزهراء عليها السلام

اشتهرت الصدّيقة (بالزهراء) لجمال هيئتها والنور الساطع في غرّتها حتى إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر الكوكب لأهل الأرض[١] وإن حضرت للاستهلال أول الشهر لا يُرى نور الهلال لغلبة نور وجهها على ضيائه وإذا ارتفعت ظهر نوره[٢].

خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس بالشفق
وحياءً من شمائلها يتوارى الغصن بالورق[٣]

ولا بدع في ابنة النبوة بعد أن اشتقت من النور الإلهي

---

(١) علل الشرايع للصدوق: ص٧١، باب ١٤٣.
(٢) البحار: ج١٠، ص١٧، من كتاب فضائل شهر رمضان للصدوق.
(٣) في كشف الغمة: ص١٤٠ أن تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا الحسيني حكى له أن بعض الوعاظ كان ينشد ذلك عندما يذكر فضائل فاطمة.

الأقدس وأشبه وجهها وجه أبيها[١]، وإذا نطقت أفرغت عن صوته ولحنه[٢]، وإذا مشت حكت كريم قوامه فإنه كان يميل على الجانب الأيمن مرة وعلى الأيسر أُخرى[٣]. وفي حديث الصادق عليه السلام: سميت الزهراء لأن نورها اشتق من نور عظمة الله سبحانه ولما أشرق نورها غشي أبصار الملائكة فخرّوا لله سجَّداً وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي وأُخرجه من صلب نبي من أنبيائي أُفضله على جميع الأنبياء وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون إلى حقي أجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي[٤].

ويحدث سلمان الفارسي أن العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لماذا فضل علي علينا أهل البيت والمعدن واحد؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم فلما أراد بدء خلقنا تكلم بكلمة فكانت نوراً ثم تكلم بأُخرى فكانت روحاً ومزج ما بينهما فاعتدلا فخلقني وعلياً ثم فتق من نوري نور العرش فأنا أجل من العرش

---

(١) كشف الغمة: ص١٤٢.

(٢) ذخائر العقبى للمحب الطبري: ص٤١، ومستدرك الحاكم: ج٣، ص١٥٤.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٢.

(٤) المحتضر للحسن بن سليمان، ص١٣٣، ط النجف.

وفتق من نور علي نور السماوات فعليّ أجلّ من السماوات وفتق من نور الحسن نور الشمس فالحسن أجلّ من الشمس وفتق من نور الحسين نور القمر فالحسين أجلّ من القمر.

وكانت الملائكة تقول في تسبيحها: سبوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله! فلما أراد سبحانه أن يبلو الملائكة أرسل عليهم ظلمة فكانوا لا يرون أولهم من آخرهم فضجوا بالدعاء قائلين: إلٰهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل هذا فنسألك بحق هذه الأنوار إلّا ما كشفت عنا هذه الظلمة.

فخلق الله نور فاطمة كالقنديل وعلقه بالعرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع فمن أجل هذا سميت «بالزهراء» وأوحى سبحانه وتعالى إلى الملائكة: إني جاعل ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وبعلها وبنيها.

فقام العباس من عند رسول الله فرحاً بما أبداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فضل ابن أخيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين وفضل سيدي شباب أهل الجنة وأُمهما العذراء البتول سيدة نساء العالمين ولقي علياً عليه السلام فضمه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه وقال: بأبي عترة المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله عز وجل[1] وفي هذا قلت:

---

(١) البحار: ج١٠، ص٧، عن إرشاد القلوب.

أنوارهم ساطعة من قبل أن ... يكتب في اللوح وجود وزمن
وجاء عن سلمان في نص الخبر ... ما قاله النبي سيد البشر
لعمه العباس إذ أتاه ... يسأل عما فضلت أبناه
وحيدر وابنته الزهراء ... وكلهم من هاشم سواء
فقال إن الله قد براني ... من نوره القدسي واصطفاني
واختار حيدراً إلى الولاية ... والحسنين حجة وآية
والعرش قد كوَّنه الرحمن ... من فضل نوري فلي الإحسان
والأرض والسبع العلى السواري ... وغيرها من نور حامي الجار
وقد قضى الله على الغزالة ... أن لا يكون نورها أصالة
فهي تشع من ضياء الحسن ... والقمر الزاهر طول الزمن
من الحسين خامس الكساء ... يسطع نوراً في دجى الظلماء
وضجت الأملاك بالدعاء ... إلى الإله فاطر السماء
واستمنحته يوم عمَّها العنا ... أن يكشف الظلماء عنهم بسنا
فعندها أظهر نوراً لامعا ... من نور فاطم أزال البرقعا
فلقَّب البتول «بالزهراء» ... رمزاً إلى ذيّالك السناء

خصائص الزهراء عليها السلام

مما لا شك فيه أن نبي الهدى لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، فما يصدر منه مع خاصة أهله مما فيه الميزة على ذوي قرباه وأُمته منبعث عن سرّ إلهي ربما تقصر العقول عن إدراكه، وقد ورد عنهم عليهم السلام في المتواتر من الآثار: «حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان»[1]. فما ورد في النقل من مميزات آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما لا تحتمله العقول لا يرمى بالإعراض بعد إمكان أن يكون له وجه يظهره المستقبل الكشاف.

وعلى هذا فما ورد في الآثار المستفيضة بين السنة والشيعة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ابنته «فاطمة» دون سائر أخواتها من الإكثار في تقبيل وجهها وما بين ثدييها حتى أنكرت عليه بعض أزواجه فقال راداً عليها: وما يمنعني من ذلك وإني أشم منها رائحة الجنة

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص٦، ملحق (بنفس الرحمن) في فضل سلمان.

وهي الحوراء الإنسية[١]؟ وكان يقوم لها إن دخلت عليه معظماً ومبجلاً لها[٢] وإذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله ابنته فاطمة وإذا رجع من السفر فأول ما يبتدئ بها[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد الحسنين: من أحبني وهذين وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[٤].

ووقوفه عند الفجر على باب فاطمة ستة أشهر بعد نزول آية التطهير يؤذنهم للصلاة ثم يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: يا بنيه من صلى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة[٦].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم[٧]

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٦، وص ٩٧.
(٢) كشف الغمة: ص١٣٦.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٥، ومستدرك الحاكم: ج٣، ص١٥٦.
(٤) كشف الغمة: ص١٣٥، عن مسند أحمد.
(٥) مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٥٨، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص٩٦.
(٦) كشف الغمة: ص١٤٢.
(٧) الرياض النضرة: ج٢، ص١٨٩.

وعدو لمن عاداهم[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها[٢]، إن فاطمة بضعة مني يغضبني من أغضبها[٣] إلى غير ذلك من كلماته الذهبية التي تنمّ عما حباها المهيمن جلّ شأنه من ألطاف ومزايا اختصت بها دون البشر، وكيف لا تكون كذلك وقد اشتقت من النور الإلهي الأقدس، ولقد علمنا من مقام النبوة ومما ورد في نصوص السنة النبوية والعلوية أن النبي لم يحابِ أحداً لمحض العاطفة أو واشجة القربى فما يلفظه من قول أو يقوم به من عمل ولا سيما في أمثال المقام لا يكون إلّا عن حقيقة راهنة لا كمن يحدوه إلى الإطراء الميول والشهوات فما صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم من خصائص الصديقة لا يكون إلّا عن وحي يحاول أن يرفع مستواها عن مستوى البشر أجمع، فالرسول الأعظم لم يصدع إلّا بحقائق راهنة جعلتها يد المشيئة حيث أجرت عليها سيل الفضل الربوبي فكونتها على مثال العظمة وأفرغتها في بوتقة القداسة فهي نماذج عن الحقيقة المحمدية المجعولة حلقة بين المبدأ والمنتهى ورابطة بين الحادث والقديم:

---

(١) الصواعق المحرقة: ص٨٥.

(٢) صحيح مسلم: ج٢، ص٣٣٩، والخصائص للنسائي.

(٣) صحيح البخاري: ج٢، ص٢٦٠، مناقب فاطمة.

شعَّت فلا الشمس تحكيها ولا القمر ... زهراء من نورها الأكوان تزدهر
بنت الخلود بها الأجيال خاشعة ... أُمُّ الزمان إليها تنتمي العصر
روح الحياة فلولا لطف عنصرها ... لم تأتلف بيننا الأرواح والصور
سمت من الأفق لا روح ولا ملك ... وفاقت الأرض لا جنّ ولا بشر
مجبولة من جلال الله طينتها ... يرفّ لطفاً عليها الصون والخفر
خصالها الغر جلّت أن تلوك بها ... منا المقاول أو تدنو لها الفكر
معنى النبوة سرّ الوحي قد نزلت ... في بيت عصمتها الآيات والسور
حوت خلال رسول الله أجمعها ... لولا الرسالة ساوى أصلَه الثمر
تدرجت في مراقي الحق عارجة ... لمشرق النور حيث السر مستتر
ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها ... تطوي القرون عياءً وهي تنتشر
قل للذي راح يخفي فضلها حسداً ... وجه الحقيقة عنا كيف ينستر
أتقرن النور بالظلماء من سفه ... ما أنت في القول إلّا كاذب أشر
بنت النبي الذي لولا هدايته ... ما كان للحق لا عين ولا أثر
هي التي ورثت حقاً مفاخره ... والعطر فيه الذي في الورد مدَّخر
في عيد ميلادها الأملاك حافلة ... والحور في الجنة العليا لها سمر
تزوجت في السما بالمرتضى شرفاً ... والشمس يقرنها في الرتبة القمر
على النبوة أضفت في مراتبها ... فضل الولاية لا تبقي ولا تذر
أُم الأئمة من طوعاً لرغبتهم ... يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر
قف يا يراعي عن مدح البتول ففي ... مديحها تهتف الألواح والزبر
وارجع لتستخبر التاريخ عن نبأٍ ... قد فاجأتنا به الأنباء والسير

هل أسقط القوم ضرباً حملها فهوت تئن مما بها والضلع منكسر؟
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت وراه نادبة والدمع منهمر؟
إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا عن الهدى وبدين الله قد كفروا[1]

(١) للعلامة السيد محمد نجل حجة الإسلام آية الله السيد جمال الهاشمي أدام ظله.

٣٦ ..... وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

الزواج

كانت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في محلها الذي اختصها الله به من العظمة تكتنفها فضائل جمّة تقاعست عن مداها كافة البشر وانحط عن ذراها ذوو المآثر منذ بدء الخليقة كيف لا وقد جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمباهلة ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ وكانت خامسة أصحاب الكساء المعنيين بآية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ولم يفتأ والدها الأقدس ينوّه بفضلها ويصحر بشرفها الوضاح في ملأ من أصحابه وعلى رؤوس الأشهاد كقوله: إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها[1] وهي سيدة نساء العالمين:

وإن مريم أحصنت فرجها وجاءت بعيسى نبي الهدى

---

(١) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص٩٦ و٩٧، ومستدرك الحاكم: ج٣، ص١٥٣.

فقد أحصنت فاطم بعدها وجاءت بسبطيْ نبيِّ الهدى[١]

إلى الكثير من كلماته التي تنمّ عن مستوى مجدها الباذخ فكانت لها الميزة الخاصة على نساء العالمين حتى على أخواتها اللائي هن أكبر منها في السن (زينب ورقية وأم كلثوم) فإن نبي الإسلام لم ينبئ عنهن ولا ببعضه، ولما علمت الصحابة أن ما حازته فاطمة من القداسة والرفعة لم تنله أيّة امرأة حتى بنات الأنبياء كانت لهم مطامع طامحة إلى مصاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها تهالكاً منهم في الحصول على ذلك الخطر الشامخ والحظوة بالاقتران بمثلها من (حوراء إنسية ومحدَّثة مرضية) غير أن هيبة النبوة كانت تصدهم عن مذاكرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا سيّما بعد أن شاهدوا ردّ من خطبها معللاً بأنه ينتظر في أمر فاطمة الوحي الإلهي[٢].

مع أنه لم يرد أحداً خطب أخواتها وليس ذلك إلّا لعلمه بأن خلفاءه على الأمة لا بدّ وأن يكونوا منها وأن أبا الأوصياء لا يكون رجلاً عادياً من غمار الناس وأن تلك النطف الطاهرة لا

---

(١) في البحار: ج١٠، ص١٦، أنهما الحسنان.

(٢) في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص٩٩، والسيرة الحلبية: ج٢، ص٢١٧، والصواعق المحرقة: ص٨٤، وذخائر العقبى: ص٣٠، وتاريخ الخميس: ج١، ص٤٠٧، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد أبا بكر وعمر لما خطباها وقال: إني أنتظر أمر السماء.

يقلّها أيّ صلب إلّا من سبق العلم الأزلي بأن يكون وعاءً لها حتى ينقلها إلى أمثاله من رحم طاهرة لا يخالطها نجس الشرك ولا سفاح الكفر.

كما أن اختيارهم لهاتيك المنصات لا يكون إلا بنص من مبدع كيانهم ومودع العصمة فيهم وإلّا فنبيّ العظمة لم يزل يهتف في أمته بأن المسلم كفء المسلم مكتسحاً بذلك عادات الجاهلية ومفاخراتهم ولم يبرح عاملاً به وآمراً قومه بالعمل به فزوَّج المقداد بن الأسود من ضباعة بنت عمه الزبير بن عبد المطلب[١] وزوَّج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب إلّا أن أمر فاطمة فوق ذلك الأمر العادي كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لولا علي لما كان لفاطمة كفء من آدم فمن دونه»[٢] ولأجله صدر التكليف الخاص بسيد الوصيين عليه السلام أن لا يتزوج امرأة ما دامت فاطمة موجودة[٣]، فلم يتزوج أمير المؤمنين امرأة حتى ماتت فاطمة، كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج حتى توفيت خديجة وقال السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية: هذا

---

(١) من الغريب أنه يخرج منهما عبد الله فيحارب علياً عليه السلام يوم الجمل ويكون المهاجر بن خالد بن الوليد معه يوم صفين.

(٢) الكافي للكليني، والتهذيب للطوسي في باب الكفاءة.

(٣) أمالي الطوسي: ص٢٧، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩٣، وبشارة المصطفى: ص١٣٦.

التحريم من خصائص فاطمة[١]:

لأنها قطب رحى الوجود في قوسي النزول والصعود
مهجة قلب عالم الإمكان وبهجة الفردوس في الجنان
ومركز الخمسة من أهل العبا ومحور السبع علوّاً وإبا
وفي محيّاها بعين الأوليا عينان من ماء الحياة والحيا
بل وجهها الكريم وجه الباري وقبلة العارف بالأسرار
روح النبي في عظيم المنزلة وفي الكفاء كفء من لا كفء له[٢]

وبينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يردّ كلّ من أتاه خاطباً لها حتى ساءه عبد الرحمن بن عوف حين غالى في المهر فمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده المباركة إلى حصى وتناوله فإذا هو در ومرجان وقال: إن من يقدر على هذا لا تهمه كثرة المهر[٣].

إذ هبط الأمين جبرئيل معه سنبل وقرنفل من الجنة أهداهما الله إليه وأعلمه بما أمر الله به من تزويج علي عليه السلام من فاطمة بخمسمائة درهم تكون سنّة لأُمته وقد فرض الله سبحانه لها خمس الدنيا وثلثي الجنة وأربعة أنهار في الأرض: الفرات ودجلة ونيل

---

(١) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ج٢، ص١٢.
(٢) من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني (قده) تأتي كاملةً ص١٩٠.
(٣) مدينة المعاجز: ص١٤٤، والبحار: ج١٠، ص٣٣.

مصر ونهر بلخ وأخبره بأنه إذا زوجها من عليعليه السلام جرى منهما أحد عشر إماماً لكل أُمة إمام في زمانهم يتعلمون منه كما علم قوم موسى مشربهم[١].

وأنه سبحانه أمر الملائكة أن يزينوا الجنان وأمر الحور العين بقراءة طه وياسين وحَمعَسَقَ وأرسل سحابة نثرت الدر والياقوت واللؤلؤ والسنبل والقرنفل فالتقطت الملائكة[٢] والحور وتهادين به[٣].

وأنه تعالى شأنه قال: الحمد ردائي والعظمة كبريائي والخلق كلهم عبيدي وإمائي[٤]، يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على علي بن أبي طالب حبيب محمد وعلى فاطمة بنت محمد فإني قد باركت عليهما وقد زوجت أحب النساء إليّ من أحب الرجال إليّ من النبيين والمرسلين.

فقال راحيل: يا رب وما بركتك عليهما بأكثر مما رأينا لهما في جنانك، فقال عزّ وجل: إن من بركتي عليهما أني أجمعهما على محبتي وأجعلهما حجة على خلقي وعزتي وجلالي لأخلقن

---

(١) دلائل الإمامة لابن جرير: ص١٨.
(٢) تفسير فرات: ص١٥٧.
(٣) كشف الغمة: ص١٤٢، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٠٥.
(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٠٦.

ذرية منهما أجعلهم خُزّاني في أرضي ومعادن علمي ودعاة إلى ديني بهم أحتجّ على خلقي بعد النبيين والمرسلين[١].

وخطب راحيل في البيت المعمور فقال:

الحمد لله الأول قبل أولية الأولين الباقي بعد فناء العالمين نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين وبربوبيته مذعنين وله على ما أنعم شاكرين حجبنا من الذنوب وسترنا من العيوب وأسكننا في السماوات وقربنا في السرادقات وحجب عنا النهم والشهوات وجعل نهمتنا في تسبيحه وتقديسه الباسط رحمته الواهب نعمته جل عن إلحاد أهل الأرض من المشركين وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين وإنّ الملك الجبار اختار صفوة كرمه وعبد عظمته علي ابن أبي طالب لأمته سيدة النساء بنت خير النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين فوصل حبله بحبل رجل من أهله المصدق دعوته والمبادر إلى كلمته عليّ الوصول بفاطمة البتول ابنة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن الله سبحانه وتعالى أنشأ في شجرة طوبى صكاكاً بعدد ما يعلمه من محبي علي وفاطمة فيها فكاكهم من النار، وخلق ملائكة تحتها فلما هز رضوان تلك الشجرة تساقطت الصكاك فحفظتها الملائكة وفي يوم القيامة لا يبقى محب لهما إلّا ويأتيه

---

(١) روضة الواعظين: ص١٢٦.

الملك وبيده صك فيه خلاصه من النار[١]. وفي حديث الباقر عليه السلام أنها نثرت الدر والياقوت والزبرجد الأحمر والأخضر والأصفر ومناشير مخطوطة بالنور فيها أمان مذخور إلى يوم القيامة[٢].

وهبط على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملك يقال له محمود مكتوب بين كتفيه: محمد رسول الله عليّ وصيّه فقال: يا رسول الله إن الله بعثني أن أُزوج النور من النور أعني فاطمة من علي[٣].

ولما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما حكم الله به دعا ابنته الزهراء وأوقفها على ما اختاره الله وقضاه وسألها عن رغبتها فيه فسكتت فصاح النبي: الله أكبر سكوتها إقرارها وسأل أمير المؤمنين عما يجده من الصداق فقال: لا أجد إلا درعي وسيفي وفرسي وناضحي فأمره صلى الله عليه وآله وسلم ببيع الدرع حيث لا غناء له عن السيف والفرس والناضح[٤] فكانت قيمتها خمسمائة درهم[٥].

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١٠٣، وتاريخ بغداد: ج٤، ص٢١٠، وأسد الغابة: ج١، ص٢٠٦، والإصابة: ج١، ص٨٢، بترجمة سنان بن شفعلة ومناقب الخوارزمي ورشفة الصادي: ص٢٨، وكشف الغمة: ص١٣٧.

(٢) دلائل الإمامة: ص١٨، ط النجف.

(٣) أمالي الصدوق: ص٣٥٣، مجلس ٨٦، والمحتضر: ص١٣٣.

(٤) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للكنجي الشافعي: ص١٦٦.

(٥) المروي في دلائل الإمامة: ص١٣٥، كانت قيمتها أربعمائة ولكن المتحصل مما يؤثر في تقدير مهر السنّة الذي لا يتخطاه المؤمن اثنتا =

وخرج رسول الله إلى أصحابه يعلمهم بالوحي الإلهي فقال: أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم أتزوج فيكم وأُزوجكم إلّا فاطمة فإن تزويجها نزل من السماء[١]، وهذا جبرئيل يخبرني عن الله تعالى أنه أشهد ملائكته على أنه زوّج فاطمة من علي وأمرني أن أُزوجهما في الأرض وأُشهدكم على ذلك[٢] ثم رقى صلى الله عليه وآله المنبر فقال:

= عشرة أوقية ونشّاً يساوي من الدراهم المضروبة خمسمائة درهم وعلى هذا مشى الشارع الأقدس في نسائه وبناته وقرره للأُمة وما أثبته التاريخ من صداق أم حبيبة بنت أبي سفيان بأنه أربعة آلاف درهم لا ينقض ذلك الأساس الرصين، فلقد أعلمنا أئمة الدين من آل الرسول أن النبي صلى الله عليه وآله خطبها وهي في الحبشة وأن النجاشي ساق إليها ذلك المهر إذاً فمن الراجح المؤكد ترجيح القول بأن مهر فاطمة خمسمائة درهم وهو مهر السنة كما صححه ابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص٤٠٨، والمجلسي في البحار: ج٢٠، ص٣٣، فلا يعبأ بما في ذخائر العقبى ومنتخب كنز العمال: ج٥، ص٩٩، بهامش مسند أحمد: ج٥، والصواعق المحرقة: ص٨٥، من تقدير مهر فاطمة بأربعمائة مثقال.

وأما ما رواه في الكافي من أن مهر فاطمة في السماء خمس الأرض وفي المناقب لابن شهر آشوب إضافة ثلثي الجنة وأربعة أنهار في الأرض فهو من الخصائص الخارجة عن مستوى الإدراك يرجع علمه إلى آل الرسول صلى الله عليه وآله ولا يرمى بالرد بعد أن كان علمهم صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان.

(١) البحار: ج١٠، ص٤٢، عن الكافي.

(٢) بشارة المصطفى: ص١٧٩.

الحمد لله الذي رفع السماء فبناها وبسط الأرض فدحاها وأثبتها بالجبال فأرساها أخرج منها ماءها ومرعاها الذي تعاظم عن صفات الواصفين وتجلل عن لغات الناطقين وجعل الجنة ثواب المتقين والنار عقاب الظالمين[١]، الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمدﷺ[٢]؟

عباد الله إنكم في دار أمل ووعد وأجَل وصحة وعلل دار زوال وتقلب أحوال جعلت سبباً للارتحال فرحم الله امرأً قصر من أمله وجدَّ في عمله وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوته ليوم فاقته يوم يحشر فيه الأموات وتخشع له الأصوات وتذهل الأمهات وترى الناس سكارى وما هم بسكارى يوم يوفيهم الله دين الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره يوم تبطل فيه الأنساب وتقطع الأسباب ويشتد الحساب فمن زحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز وما الحياة

---

(١) التهذيب.

(٢) الصواعق المحرقة: ص٨٤، ومدينة المعاجز: ص١٤٧.

الدنيا إلّا متاع الغرور[١].

ثم إن الله جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً نسخ بها الآثام وأوشج بها الأرحام وألزمها الأنام فقال عز من قائل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره، وقدره يجري إلى أجله فلكلّ قضاء قدر ولكلّ قدر أجل ولكلّ أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

أيها الناس إن الأنبياء حجج الله في أرضه الناطقون بكتابه العاملون بوحيه وإن الله أمرني أن أُزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فإن الله قد زوجه في السماء بشهادة الملائكة وأُشهدكم أني زوجته من فاطمة[٢].

والتفت إلى علي عليه السلام قائلاً: أرضيت يا علي؟

فقال عليه السلام: رضيت عن الله وعن رسوله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً[٣].

---

(١) تاريخ الخميس: ج١، ص٤٠٨، وذخائر العقبى: ص٣٠، والصواعق: ص٨٤، ودلائل الإمامة: ص١٦.

(٢) مدينة المعاجز: ص١٤٧.

(٣) تاريخ الخميس: ج١، ص٤٠٨.

وأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخطب فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

الحمد لله الذي ألهم بفواتح علمه الناطقين وأنار بثواقب عظمته قلوب المتقين وأوضح بدلائل أحكامه طرق السالكين وأبهج بابن عمي المصطفى العالمين حتى علت دعوته دواعي الملحدين واستظهرت كلمته على بواطل المبطلين وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين فبلغ رسالة ربه وصدع بأمره وأنار من الله آياته، الحمد لله الذي خلق العباد بقدرته وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورحم وكرم وعظم وشرف، الحمد لله على نعمائه وأياديه الحمد لله الذي قرب من حامديه ودنا من سائليه ووعد الجنة من يتقيه وأنذر بالنار من يعصيه نحمده على قديم إحسانه وأياديه حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومحييه ومُسائله عن مَساويه ونستعينه ونستهديه ونؤمن به ونستكفيه ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه صلاة تزلفه وتحظيه وترفعه وتصطفيه والنكاح مما أمر الله به ويرضيه واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه.

وهذا رسول الله زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت فاسألوه واشهدوا[1].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٠٨.

٤٨ ..... وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

حديث الوليمة

روى ابن جرير بإسناده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام من فاطمة عليها السلام قال: من حضر الخطبة فليحضر الطعام فضحك المنافقون وقالوا: الذين حضروا العقد حشر من الناس وإن محمداً سيضع طعاماً لا يكفي عشرة فسيفتضح محمد اليوم وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا عميه حمزة والعباس وأقامهما على باب داره وقال لهما: أدخلا الناس عشرة عشرة وجعلا يدخلان عشرة عشرة حتى أكل الناس من طعامه ثلاثة أيام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجمع بين الصلاتين في الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة.

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للعباس: ما لي أرى الناس يصدرون ولا يعودون فقال: يابن أخي لم يبق في المدينة مؤمن إلا وقد أكل من طعامك حتى إن جماعة من المشركين دخلوا في عداد المؤمنين فأحببنا أن لا نمنعهم ليروا ما أعطاك الله تعالى من المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة فسأله عن عددهم فلم يكن له

علم به فسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه حمزة عن عددهم فقال: لقد أكل الناس من طعامك في أيامك الثلاثة ثلاثة آلاف من المسلمين وثلاثمائة رجل من المُنافقين فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه.

ثم دعا بصحاف وجعل يغرف فيها ويبعث إلى بيوت الأرامل والضعفاء والمساكين من المسلمين والمسلمات والمعاهدين والمعاهدات حتى لم يبقَ بالمدينة دار ولا منزل إلا دخل عليه من طعامه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال هل فيكم من يعرف المنافقين؟ فسكتوا فنادى أين حذيفة بن اليمان فأتاه يتوكأ على عصا لضعف فيه من علة أصابته فقال له: هل تعرف المنافقين؟ قال ما المسؤول بأعلم من السائل فاستدناه رسول الله وأمره أن يستقبل القبلة ثم وضع يده اليمنى بين منكبيه يقول حذيفة: فوالله لقد ذهبت العلة والضعف مني حتى رميت هراوتي وعرفت المنافقين بأسمائهم وأسماء آبائهم وأُمهاتهم.

فقال لي: انطلق وائتني بالمنافقين رجلاً رجلاً فأخرجهم من بيوتهم وجمعهم حول منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم مائة واثنان وسبعون رجلاً فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الصِحفة) بين أيديهم فأكلوا حتى شبعوا وهي على حالها لم ينقص منها شيء.

فنظر المنافقون بعضهم إلى بعض وقالوا لقد صددتمونا عن الهدى بعد إذ جاءنا ولا بيان أوثق مما رأينا فقال بعضهم لا تعجبوا فإن هذا قليل من سحر محمد فأحزن كلامهم رسول الله فدعا عليهم بأن لا يشبع الله بطونهم فكان الرجل منهم يأخذ اللقمة ليضعها في فمه فتكون حجراً. ولمّا طال عليهم هذا فزعوا إلى النبي يظهرون الندم والتوبة ويسألونه العفو والمغفرة فرفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم إن كانوا صادقين فتب عليهم وإلا فأرني فيهم آية لا تكون مسخاً (لأنه كان رحيماً بأُمته) فأما من آمن فابيض وجهه وأشرق وأما من بقي على ضلاله وغيّه فاسودّ وجهه.

ولأجل هذه الآية آمن بالنبيﷺ مئة رجل وبقي على النفاق اثنان وسبعون رجلاً فاستبشر النبيﷺ بأيمان من آمن وقال: لقد هدى الله ببركة علي وفاطمة خلقاً كثيراً وخرج المؤمنون متعجبين من بركة الصحفة فأنشد ابن رواحة شعراً منه:

نبيكم خير النبيين كلهم كمثل سليمان يكلمه النمل

فقالﷺ: لقد أسمعت خيراً يابن رواحة إن سليمان نبي وأنا خير منه ولا فخر كلمته النملة وأنا سبحت في يدي صغار الحصى فقال رجل من المنافقين: وأنت علمت تسبيح الحصى في كفك؟ قال: أي والذي بعثني بالحق نبياً فقال رجل من اليهود: والذي

كلم موسى بن عمران على الطور ما سبح في كفك الحصى! قال رسول الله والذي كلمني في الرفيع الأعلى من وراء سبعين حجاباً غلظ كل حجاب مائة عام إن الحصى سبح في كفي.

ثم أخذ قبضة من الحصى ووضعه فسمعنا له دوياً كدوي الآذان إذا سدت بالأصابع فلما سمع اليهودي ذلك قال لا أثر بعد عين أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك يا محمد رسوله وآمن من أولئك المنافقين أربعون رجلاً وبقي اثنان وثلاثون[1].

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ص٢٠ طبع النجف.

حديث الزفاف

روى أبو المفضل الشيباني المتوفى سنة ٣٨٧ هـ بالإسناد إلى الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يزف فاطمة لعلي عليه السلام وضع قطيفة على بغلته الشهباء وأركب فاطمة عليها وأمر سلمان أن يقودها والنبي يسوقها فبينا هم في الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلبة فإذا هو جبرئيل في سبعين ألفاً من الملائكة وميكائيل في مثل ذلك فسألهم رسول الله عن مجيئهم فقالوا: جئنا نزف فاطمة إلى علي عليه السلام ثم كبّر جبرئيل وكبّرت الملائكة وكبّر رسول الله فسنّ التكبير على العرائس من ذلك، ولما أدخلها منزل علي عليه السلام أخذ رسول الله كف أمير المؤمنين ووضعه في كف فاطمة وقال: لا تحدثا أمراً حتى آتيكما فما كان بأسرع من أن جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيده مصباح وضعه في ناحية البيت وأمر أمير المؤمنين أن يضع ماءً من الشكوة في القعب ولما أتاه به أخذ من ريقه المبارك شيئاً وألقاه في الماء ثم أعطاه لأمير المؤمنين فشرب منه وناوله فاطمة فشربت منه ونضح الباقي في القعب على صدر أمير المؤمنين

وصدر فاطمة وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ثم رفع يديه قائلاً: اللهم فاجعل عترتي الهادية من علي وفاطمة[١]، اللهم إنهما أحب الخلق إلي فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً وإني أُعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم[٢]، اللهم وإن فاطمة ابنتي أحب الخلق إليّ وإن علياً أحب الخلق إليّ، اللهم اجعله لك وليّاً وبك حفيّاً وبارك له في أهله.

ثم قال لعلي عليه السلام: ادخل بأهلك بارك الله لك ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد[٣]، وخرج من عندهما وهو يقول: اللهم اجمع شملهما وألّف بين قلوبهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك طهركما الله وطهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم أستودعكما الله وأستخلفه عليكما[٤].

---

(١) دلائل الإمامة: ص٢٣.
(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١١.
(٣) أعيان الشيعة: ج٢، ص٤٥٧.
(٤) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٢، وص ١١٣.

وكان البناء بها أول ذي الحجة لسنتين من الهجرة[١] بعد وفاة أختها رقية بستة عشر يوماً[٢]، وكان بين التزويج في السماء والتزويج في الأرض أربعون يوماً[٣].

(١) مسار الشيعة للمفيد ومناقب ابن شهر آشوب: ص١١٢، وتقويم المحسنين للفيض.

(٢) بشارة المصطفى: ص٣٢٨.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١٠٧.

٥٦ ..... وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

حديث القلادة

لقد كان من مواقف الصديقة التي تنمّ عن أنها طبعت على الخير والبركات وأن ما يترشح من أعمالها البارة وصدقاتها الجارية نجعة الراغب وبلغة الطالب وأمنية القاصد ونجح الوافد قصة العقد الذي أعطته سلام الله عليها للأعرابي وإنها لصدقة واحدة انبعثت منها مناجح جمة كل منها يجب أن يكون مأثرة الدهر وغرة ناصعة في جبهة الدنيا، ففي الحديث عن جابر الأنصاري أن رسول الله ﷺ صلى بنا العصر فلما فرغ أقبل رجل من العرب قد أنهكه الضعف والكبر فقال لرسول الله: إني جائع فأطعمني وعارٍ فاكسني وفقير فأريشني فقال رسول الله ﷺ: إني لا أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير كفاعله انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويؤثر الله على نفسه انطلق إلى حجرة فاطمة وكان بيتها ملاصقاً بيت رسول الله الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه فأخذه بلال إلى منزل فاطمة فلما وقف على الباب نادى بأعلى صوته:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلَف الملائكة ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين، فقالت فاطمة: من أنت يا هذا؟ قال: شيخ من العرب أقبلت إلى أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة وأنا يا بنت محمد عاري الجسد جائع الكبد فواسيني رحمك الله.

فلم يكن عند فاطمة شيء فعمدت إلى جلد كبش ينام عليه الحسنان وقالت: يا شيخ خذ هذا واقضِ شأنك فقال: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع فما أصنع بجلد الكبش؟

فعندها أعطته عقداً كان في عنقها أهدته إليها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب ودفعته إليه وقالت: بع هذا لعل الله يعوضك به ما هو خير لك.

فأخذ الأعرابي العقد وعرف رسول الله بما أعطته فاطمة وسأل من كان حاضراً في المسجد في شرائه فقام عمار بن ياسر يستأذن رسول الله في شرائه فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: يا عمار ابتعه فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله فساوم عمار الأعرابي عن ثمنه فلم يكن عنده أكثر من أكلة يسد بها جوعه وبردة يستر بها عورته ويصلي فيها لربه ودينار يبلغه إلى أهله فأعطاه عمار عشرين ديناراً ومائتي درهم هجري وبردة يمانية وراحلة تبلغه إلى أهله وهذا مما بقي من ثمن سهمه من خيبر، ثم أخذ الأعرابي إلى منزله وأطعمه

حتى كفاه فرجع الأعرابي إلى النبي ﷺ وقال: لقد شبعت واكتسيت واغتنيت فسأله النبي أن يدعو لفاطمة فقال الأعرابي:

اللهم إنك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك وأنت رازقنا من كلّ الجهات، اللهم اعط فاطمة بنت محمد ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت فأمّن النبي ﷺ على دعائه وقال لأصحابه: إن الله تعالى أعطى فاطمة في الدنيا ذلك أنا أبوها وليس أحد في العالمين مثلي وعلي بعلها ولولا علي لما كان لفاطمة كفء أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة.

ثم قال لمن حضر: أفلا أزيدكم؟ قالوا: نعم، فقال: أخبرني الروح الأمين جبرئيل أن فاطمة إذا قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها من ربك؟ فتقول: الله ربي فيقولان من نبيّك؟ فتقول: أبي فيقولان: فمن وليّك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب.

فعمد عمار إلى العقد ولفه في بردة يمانية ووضع معه طيباً وأرسله إلى النبي مع عبد له اسمه «سهم» اشتراه من السهم الذي أصابه بخيبر وقال له: أنت والعقد لرسول الله هدية فأمره النبي أن ينطلق به إلى فاطمة على أنه والعقد هدية لها، فلما جاء العبد إلى فاطمة وأخبرها بما صنعه عمار أخذت العقد وأعتقت المملوك

فضحك العبد فقالت فاطمة: ما يضحكك يا غلام؟ قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد أشبع جائعاً وكسا عرياناً وأغنى فقيراً وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه.

ثم أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فضل ابنته على من حضر عنده في المجلس فقال: إن الله وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها وهم معها في حياتها وعند قبرها يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها فمن زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما[1].

---

(١) بشارة المصطفى: ص١٦٧ ط النجف: وحيث ظهرت لعمار بن ياسر منزلة في هذا الحديث أحببت أن أوقف القراء على شيء من مقامه الكريم فأقول: لقد تواتر الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن عمار بن ياسر الطيب ابن الطيب ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، وكان تابعاً للحق يدور معه حيثما دار وهو أحد السبعة الذين بهم ترزق الأمة ويمطرون ومبشراً بالجنة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالشهادة مع إمام الحق وخاتم الأوصياء فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنك مقتول بسيف الفئة الباغية وأنت مع الحق وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن، واشتد حزن أمير المؤمنين عليه السلام لما استشهد مع كثرة من حضر لديه من المؤمنين المخلصين له وليس ذلك إلّا لما يحمله ابن ياسر من اليقين الراسخ والبصيرة النافذة والفقه الناجع الذي شهد به سيد النبيين وذلك =

. . . . . .

= لما أكرهه المشركون وأباه وأمه على سبّ النبيﷺ وذكر آلهتهم بخير، فأما أبوه وأمه فلم يفعلا فقتلا، وأما عمار ففعل كما أراد المشركون تقية وحقناً لدمه فقال قوم: لقد كفر عمار فرد عليهم النبيﷺ بأن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وأنه فقيه آل ياسر وجاء إلى النبي يبكي وحكى له ما أراده المشركون منه من السب حتى فعل حقناً لدمه فقال ﷺ له: لا عليك إن عادوا فعد لهم بما قلت ولما قتل وقف عليه أمير المؤمنين وقال: (إن امرأً لم ينقم قتل عمار ولم يحزن له لغير رشيد) رحم الله عماراً يوم قتل ورحم الله عماراً يوم يموت ورحم الله عماراً يوم يبعث حياً.

ولأجل أنه من أكبر أعضاد الحنيفية البيضاء يناضل عن قدس الشريعة بلسانه وسنانه ويقول مجاهراً: لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق وهم على الباطل.

رموه دعاة السوء ورواة الأكاذيب بالريب والشك والعدول عن الصراط السوي (يوم الفتنة الأولى) غير أن الشهادة بصفين غسلت ذلك الدرن ونسبوا القول إلى الإمام الباقرعليه السلام (أنه حاص حيصة) كما في رجال الكشي ص٨، ولا غرابة في ذلك بعد أن أعلمنا التاريخ جهد معاوية في الوقيعة برجالات الشيعة وبذله الأموال للحط من مقدارهم ومقامهم الرفيع لتنفر الناس عنهم فلا يقبلوا لهم حديثاً في فضل أمير المؤمنين وولده وإن العجب لا ينقضي ممن يؤمن بهذا الافتعال ويذعن لقول النبي: عمار مع الحق وقد ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، ثم يتشدق في الوقيعة برجل الإيمان والعقيدة الصادقة وأقبح من هذا الاعتذار عنه بأنه غسلها =

أقول: أين كان هؤلاء الملائكة حين أقبل (الرجل) يلطم خدها حتى احمرت عينها والعبد يضربها بالسوط على عضديها:

= بالشهادة بصفين ومتى صدرت منه هذه الزلة حتى يعتذر له بذلك؟
على أن الحديث نفسه كما رمى عماراً بهذه الشائنة حط من أخويه سلمان وأبي ذر حيث أثبت في قلب سلمان شيئاً، وأن أبا ذر خالف أمر أمير المؤمنين بالسكوت. وفي البحار: ج٨، ص٥١ عن الاختصاص للشيخ المفيد في خبر أن سلمان الفارسي كان منه إلى ارتفاع النهار وأبو ذر كان منه إلى وقت الظهر فعاقبهما الله بأن وجئت عنق سلمان وحمل أبو ذر على قتب ونفي عن حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن من الواضح الجلي أن تلك النسبة إلى عمار وأخويه كاذبة أرادوا بها الحط من هؤلاء الأوتاد الذين جاهروا بالإنكار على من اغتصب الخلافة الإلهية الكبرى كيف وقد بلغ حواري النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغاية القصوى تجاه وأمام كل عثرة في سبيل الدين وضحوا دونه بالنفس والنفيس على أن رجال هذه الأخبار الحاملة للحط من عمار وأخويه مجهولون فلا يعبأ بمروياتهم ولكن أين من يفقه النكات الدقيقة ليعرف ما أراده أعداء الدين من تشويه مقام هؤلاء الرجال وأنهم كيف يدسون السم في العسل؟ وإلى أمثال هذه الروايات يشير الإمام الباقر كما في شرح النهج: ج٣، ص١٥، فيقول: (إن الرجل قد يكون من أهل الخير وهو ورع صدوق فيحدث بأحاديث عجيبة من تفضيل السلف وغيره ولم يخلق الله شيئاً منها) إذاً فمن واجب الباحث التريث في ما رووه من مقادير الرجال لئلا يتورط في مس الكرامات فيعوزه العذر يوم الحساب أو يندم ولات حين مندم.

ولـلـسـيـاط رنـة صـداهـا في مسمع الدهر فما أشجاها
والأثر الباقي كمثل الدملج في عضد الزهراء أقوى الحجج
ومن سواد متنها اسودّ الفضا يا ساعد اللَّهُ الإمامَ المرتضى
ولست أدري خبر المسمار سلْ صدرها خزانة الأسرار
وفي جنين المجد ما يدمي الحشا وهل لهم إخفاء أمر قد فشا
والباب والجدار والدماء شهود صدق ما به خفاء
لقد جنى الجاني على جنينها فاندكت الجبال من حنينها
ورضَّ تلك الأضلع الزكية رزية ما مثلها رزية
ومن نبوع الدم من ثدييها يعرف عظم ما جرى عليها
وجاوز الحدّ بلطم الخدّي شلت يد الطغيان والتعدي
فاحمرت العين وعين المعرفة تذرف بالدمع على تلك الصفة
ولا يزيل حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوى
فإن كسر الضلع ليس ينجبر إلّا بصمصام عزيز مقتدر
أهكذا يصنع بابنة النبي حرصاً على الملك فيا للعجبي؟

موقفها في المحشر

غير خافٍ أن غاية الشرف بين مبدأ الإنسان ومنتهاه التشابه بين هذين الحدَّين لا أريد بذلك الركود عن الترقي إلى الكمال ضداً لما يقتضيه ناموس التكامل المودع في الأشياء كلها، لكني أريد أن أقول: إن من صيغ من عنصر القداسة ومن أرفع درجاتها يتعذر تصوير التفاوت بين مبدئه وختامه وإن كان من الممكن تصوير الترقي فيه بالنسبة إلى احتفاف العوارض به، وعلى هذا فسيدتنا الصديقة الزهراء حيث اشتقها المولى سبحانه من نور قدسه وجعلها حلقة الوصل بين السفارة العظمى والولاية الكبرى وزانها بالعصمة عن كلّ شية ورجاسة فهي سرمدية تشابه فيها الأزل والأبد لأنها حصة من الحقيقة المحمدية التي كمل بها النظام الأتم حدوثاً وبقاءً فكما أنها منجاة البشر من حوادث الدهر وطوارق الزمن وسائر البوائق والآفات فإنها في الآخرة مقياس الفوز والفلاح، فبشفاعتها تدرأ عنهم الأهوال كما أنه

على حبها دارت القرون الأولى ونجا الرسل المكرمون[١].

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله قال لفاطمة عليها السلام: إن الله تعالى يبعث جبرئيل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم قومي إلى محشرك آمنة روعتك مستورة عورتك فيلبسك الحلل ويأتيك روفائيل بنجيبة من نور زمامها من اللؤلؤ عليها محفة من ذهب فتركبينها ويقودها روفائيل وسبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التسبيح، فإذا سرت استقبلك سبعون ألف حورية بيد كل واحدة مجمرة يسطع منها ريح العود من غير نار وعليهن أكاليل الجوهر مرصع بالزبرجد الأخضر، ثم تستقبلك مريم بنت عمران في مثل من معك من الحور وتسير معك ثم تستقبلك أمك خديجة معها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء ومعها آسية بنت مزاحم فتسير معك.

فإذا توسطت الجمع نادى منادٍ أيها الخلائق غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة ابنة محمد فلا ينظر إليك يومئذ إلا إبراهيم الخليل وعلي بن أبي طالب ويطلب آدم حواء فيراها مع أمك خديجة أمامك.

---

(١) البحار: ج٧، ص٣٥٠ كبني.

ثم ينصب لك منبر له سبع مراقٍ فإذا صرت في أعلاه أتاك جبرئيل فيقول: يا فاطمة سلي حاجتك فتقولين يا رب شيعتي فيأتي النداء من العزيز سبحانه إني قد غفرت لهم فتقولين: شيعة ولدي فيأتي النداء إني قد غفرت فتقولين يا رب شيعة شيعتي فيقول الله يا فاطمة انطلقي فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة[١].

فإذا صار شيعتها على باب الجنة يقفون فيأتي النداء من المولى الجليل: ما وقوفكم وقد شفعت فيكم ابنة محمد؟ فيقولون: أحببنا أن يعرف قدرنا في هذا اليوم فيقول الله: يا أحبائي انظروا من أحبكم لحب فاطمة ومن أطعمكم لحب فاطمة ومن كساكم لحب فاطمة ومن سقاكم لحب فاطمة ومن ردّ عنكم غيبة لحب فاطمة فأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: لا يبقى في الناس حينئذ إلّا شاكّ أو كافر أو منافق[٢].

ثم إن فاطمة تأخذ قميص الحسين ملطخاً بالدم وتقول: إلهي

---

(١) تفسير فرات: ص١٧١، واقتصر الحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٦١، والمحب الطبري في ذخائر العقبى: ص٤٨، والمتقي في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج٥، ص٥٦، على النداء لأهل الجمع بأن يغضوا الأبصار لتجوز فاطمة بنت محمد وزاد في الذخائر معها سبعون ألف حوراء.

(٢) تفسير فرات: ص١١٤.

احكم بيني وبين من قتل ولدي[١] ثم تسأل ربها أن يريها الحسين فيقال لها: انظري في قلب القيامة فترى الحسين قائماً مقطوع الرأس[٢]، فإذا رأته صرخت وولولت وصاحت وا ثمرة فؤاداه فتصعق الملائكة لصيحتها وينادي أهل الموقف: قتل الله قاتل ولدك فيقول الله: أفعل به وبأحبائه وشيعته[٣].

لا بدّ أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة ينفخ[٤]

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩١.
(٢) معالم الزلفى: ص٢٣٣، باب ١٠٢.
(٣) عقاب الأعمال للصدوق: ص١٠.
(٤) في مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٩١، أنها لمسعود بن عبد الله القايني.

تسبيح الزهراء عليها السلام

كان السبب في تشريع هذا التسبيح ما روته الإمامية وغيرهم من أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: لما رأيت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء في خدمة البيت وقد جاء سبْيٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت لها: هلا أتيت أباك تسأليه خادماً يكفيك مشقة خدمة البيت فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا عنده جماعة فانصرفت وعلم أبوها أنها جاءت لأمر أهمها فغدا إلى دارها صباحاً وسألها عما جاءت له فاستحت أن تذكر له فقلت له: إنك تعلم ما تلاقيه فاطمة من القيام بشؤون البيت من الاستقاء والطحن والكنس وقد أثر ذلك عليها فقلت لها: لو سألت أباك يُخدمك من يكفيك مشقة ما أنت فيه من العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفلا أدلك يا فاطمة على ما هو خير لك من الخادم ومن الدنيا؟ قالت: بلى يا رسول الله فعلمها هذا التسبيح المعروف عند النوم وبعد كل صلاة[1].

---

(١) رواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ص٦٧ وعلل الشرائع: ص١٢٨، باب ٨٨، ورواه القاضي نعمان المصري في (دعائم الإسلام) ورواه =

وقد استفاضت أخبار آل الرسول الأعظم في الحث على الإتيان به حتى قال الإمام الباقر عليه السلام: ما عُبِد الله بشيء أفضل من تسبيح فاطمة كل يوم دبر كل صلاة ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة. ويقول الصادق عليه السلام تسبيح فاطمة كل يوم دبر كل صلاة أحب إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم وإنّا لنأمر صبياننا به كما نأمرهم بالصلاة[1].

وورد في التعبير عن بلوغ التسبيح مرتبة عالية من الفضل بحيث يصح للمولى مع تركه ردّ العبادة على صاحبها وإن كانت تامة الأجزاء والشرائط فقالوا عليهم السلام: (إن الصلاة الخالية منه تردّ

= البخاري في صحيحه: ج٢، ص٢٥٩، في مناقب علي ولم يتعقب عليه ابن شهاب الدين القسطلاني في إرشاد الساري: ج٦، ص١١٧، وزاد أن فيه منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة. وحكى عن ابن تيمية أن المواظبة عليه عند النوم ترفع التعب والإعياء وممن رواه منهم المحب الطبري في ذخائر العقبى: ص٤٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ج٢، ص٤١، وأحمد بن حنبل في المسند: ج١، ص١٠٦، وابن حجر العسقلاني في الإصابة بترجمة فاطمة: ج٤، ص٣٧٩، وفي تذكرة الخواص: ص١٧٦، خرجه مسلم في صحيحه متفرقاً. وحكى في السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية: ج٣، ص٣٠٣، عن الزرقاني في شرح المواهب اللدنية أنه عند النوم وبعد الصلاة عشراً عشراً وعلى كل حال فهم متفقون معنا في أصل التشريع وإن خالفونا في كيفيته.

(١) فروع الكافي بهامش مرآة العقول: ج٣، ص١٣٥.

على صاحبها) لكون العبادة المقرونة بتسبيح الزهراء كالحلة الموشاة التي لا تماثلها الحلة الخالية من الوشي والتطريز.

وهذه الأخبار المتكثرة لا يضرّ اختلافها في بيان كيفيته بعد الصلاة وعند النوم بعد أن صادق على كونه أربعاً وثلاثين تكبيرة ثم ثلاثاً وثلاثين تحميدة ثم ثلاثاً وثلاثين تسبيحة المشهور من علمائنا الأعلام، بل عليه فتاوى الأصحاب كما في الجواهر وهو الأشهر كما في المنتهى للعلامة الحلي وعليه عمل الطائفة كما في الوسائل للحر العاملي وهو الأقوى كما في البحار للمجلسي، ومن أجل ذلك التزم الشيخ يوسف البحراني في الحدائق بحمل الأخبار المخالفة للمشهور على التقية لموافقتها لرأي العامة ومع هذا لا تخلو دعوى التخيير بين تقديم التسبيح على التحميد أو العكس عن وجه وجيه كما في (الوافي).

وعلى كلّ فقد اعتبرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام أدباً فيه كإتباعه بلا إله إلّا الله والاستغفار مرة[1] والموالاة[2] وأن تكون حبات السبحة من طين قبر الحسين فإن فاطمة عليها السلام كانت سبحتها من خيط صوف معقود عليه بعدد التكبير وبعد أن قتل حمزة بن عبد المطلب استعملت حبات من تربته وجرى الناس على ذلك

---

(١) محاسن البرقي ودعائم الإسلام.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١، ص٣٤٤.

إلى أن استشهد أبو عبد الله عليه السلام فعدل الناس إلى تربته لما فيها من الفضل والمزية[١]، وسئل الصادق عليه السلام عن التفاضل بين طين قبر حمزة أو الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: السبحة من طين قبر الحسين تسبح بيد الرجل من دون أن يسبح وإن الحور إذا رأين الملائكة يهبطون إلى الأرض استهدين منهم التربة من طين قبر الحسين عليه السلام ومن أدار السبحة من تربة الحسين مرة واحدة بالاستغفار أو غيره كتب له أجر سبعين مرة وإن السجود على تربته عليه السلام يخرق الحجب السبع[٢]، ومن كانت بيده سبحة من تربة سيد الشهداء كتب مسبحاً وإن لم يسبّح بها[٣].

كما أنه ورد عنهم عليهم السلام أن السبح الزرق في أيدي شيعتنا كالخيوط الزرق في أكسية بني إسرائيل، فإن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران: مر بني إسرائيل أن يجعلوا في أربعة جوانب أكسيتهم الخيوط الزرق يذكرون بها إله السماء[٤]، وفهم شيخنا المجلسي من هذا الخبر أن تكون الحبات زرقاً ولكن العلامة قال: يستحب كون الخيوط زرقاً ولعله وقف على حديث يعين ذلك والأولى الجمع بينهما.

---

(١) البحار: ج١٨، ص٤١٥ عن مكارم الأخلاق.
(٢) البحار: ج١٨، ص٤١٧.
(٣) الذكرى للشهيد الأول في باب التعقيب.
(٤) مزار الشيخ خضر شلال مخطوط.

حديث الكساء

لقد تطابقت كلمات المفسرين وروايات المحدّثين وأرباب السير والمعاجم على أن المراد بأهل البيت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هم الخمسة أصحاب الكساء أعني النبي الأعظم ووصيه المقدم أمير المؤمنين وابنته الصديقة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وسبطيه سيديْ شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، وتواتر النص بذلك من جماعة من الصحابة والتابعين وأنهاه ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان) إلى خمسة عشر طريقاً والسيوطي في تفسيره الدر المنثور إلى عشرين طريقاً[1]، ولم يزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجاهراً في الإصحار

(١) راجع الدر المنثور وجامع البيان للطبري وأسباب النزول للواحدي والإصابة بترجمة فاطمة وتهذيب التهذيب بترجمة الحسن وصحيح مسلم: ج٢، ص٣٣١، ومستدرك الحاكم على الصحيحين: ج٣، ص١٣٢، و١٤٨، و١٥٨، وتلخيصه للذهبي ومسند أحمد: ج٦، ص٣٢٣، =

بالاختصاص بهؤلاء الخمسة في مواطن متعددة حتى إنه كلما يخرج إلى صلاة الغداة بعد نزول الوحي بها يقف على باب فاطمة وينادي بأعلى صوته: الصلاة أهل البيت ويقرأ الآية واستمر على هذا ستة أشهر أو سبعة أو ثمانية ولم ينقل أحد أصلاً أنه وقف هذا الموقف ولا قال هذا القول على باب أحد من نسائه وزوجاته وسائر أقاربه وهذا الفعل من الحكيم يدل على معنى جليل تضمنته الآية اختص بهم دون المسلمين.

لكن المتعنت الجاحد لفضل أصحاب الكساء لمّا لم ترقه هذه الفضيلة شرك غيرهم معهم مستنداً إلى شواهد أوهى من بيت العنكبوت فكان يتردد فيها كحاطب في ظلام مع أن أم سلمة لم يأذن لها الرسول في الدخول معهم وقال: إنك على خير إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أنهم بتروا الحديث الذي ينمّ عما لأهل العباء من منزلة كبرى عند الله فاقتصروا على خصوص نزول الآية في الخمسة.

= ومنتخب كنز العمال بهامشه: ج٥، ص٩٦، وكنز العمال: ج٦، ص١٠٣، وتاريخ ابن عساكر: ج٤، ص٢٠٤، والصواعق المحرقة: ص٨٥، والرياض النضرة: ج٢، ص٢٠٣، وذخائر العقبى من ص٢١ إلى ص٢٤، والإتحاف بحب الأشراف: ص٥، وكفاية الطالب للكنجي: ص١٣، ومطالب السؤول: ص٨، وأحكام القرآن لابن العربي الأندلسي: ج٢، ص١٦٧، والشرف المؤبد للنبهاني ص٦.

غير أن شيخنا الحجة المتتبع المتقن نادرة الدهر ومفخرة العلماء الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي أتحفنا بإثباته في (المنتخب) ص١٨٦ طبع النجف كما نزل به الوحي المبين وتابعه على ذلك العلامتان الحجتان السيد عدنان آل السيد شبر البحراني والسيد محمد نجل آية الله السيد مهدي القزويني ولم يتباعد عن الإذعان به حجة الإسلام السيد محمد كاظم اليزدي في أجوبة المسائل المتفرقة، وخرَّج لهذا الحديث سنداً العلامة السيد شهاب الدين المرعشي في رسالة صغيرة فارسية أسماها (حديث الكساء) وذكر فيها حديث سلسلة الذهب طبعت سنة ١٣٥٦ كما في الذريعة في فهرست مصنفات الشيعة: ج٦، ص٣٧٨ واستظهر تعدد الواقعة المحب الطبري في ذخائر العقبى ص٢٢ وابن حجر في الصواعق المحرقة ص٨٦ من اختلاف الروايات في تعيين الكساء والمحل الذي كانوا فيه وما أجاب به أم سلمة وغيرها.

وإني لا أرى للتعدد وجهاً فإن الواقعة واحدة والآية الكريمة نزلت في مورد واحد ولكن الرواة لم ينقلوا هذه الفضيلة كما صدرت فتصرفوا فيها كما شاء لهم الهوى فشركوا مع هؤلاء الخمسة أزواج النبي وأقاربه مع بعدهم عن مورد الآية كما بين السماء والأرض ويشهد له قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأم سلمة لما استأذنته في الدخول معهم: (إنك على خير إنك من أزواج النبي) كما أني لا أرى المتأمل في أحاديث أهل البيت المثبتة لهم منازل عالية لم

يحوها نبي مرسل أو ملك مقرب مرتاباً في صحة هذا الحديث وما أثبته من الفضل الكثير لهؤلاء الخمسة وشيعتهم دلت عليه الأحاديث المتواترة بل البالغة أكثر من التواتر، فلا غرابة في ما نص عليه.

الحديث برواية المنتخب

قال الشيخ الجليل فخر الدين الطريحي في المنتخب ص١٨٦: روي أن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: دخلت على أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأيام فقال لي: يا فاطمة إني لأجد في بدني ضعفاً فقالت له: أعيذك بالله يا أبة من الضعف فقال: يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني وغطيني به قالت فاطمة: فغطيته به وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه قالت فاطمة: فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه قلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله قلت: إن جدك نائم تحت الكساء فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل تحت الكساء؟ فقال: قد أذنت لك فدخل معه وما كان إلا ساعة وإذا بالحسين الشهيد قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله قلت: نعم يا

بني إن جدك وأخاك تحت الكساء فدنا الحسين منه وقال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معك تحت هذا الكساء؟ فقال له: قد أذنت لك، فدخل معه ثم أقبل أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله قلت: وعليك السلام فقال: إني أشم رائحة أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت: ها هو مع ولديك تحت الكساء فأقبل نحوه وقال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء؟ قال: نعم قد أذنت لك فدخل معهم فقلت: يا أبة أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال: نعم فدخلت فاطمة معهم.

ولما اكتملوا تحت الكساء قال الله عز وجل: يا ملائكتي وسكان سماواتي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا فلكاً يسري إلّا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرئيل: يا رب ومن تحت الكساء؟ قال سبحانه وتعالى: هم أهل النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها قال جبرئيل: أتأذن لي يا رب أن أكون معهم تحت الكساء؟ فإذا النداء: قد أذنت لك فهبط الأمين جبرئيل وقال: السلام عليك يا رسول الله العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا بحراً

يجري ولا فلكاً يسري إلّا لأجلكم وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء فهل تأذن لي أنت يا رسول الله؟ قال: قد أذنت لك فدخل جبرئيل معهم تحت الكساء وقال لهم: إن الله عز وجل قد أوحى إليكم يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟ فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلّا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا فقال علي عليه السلام: إذاً والله فزنا وفازت شيعتنا ورب الكعبة.

فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا في محفل من محافل الأرض وفيه جمع من شيعتنا وفيهم مهموم إلّا وقضى الله حاجته فقال علي عليه السلام: إذاً والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة قال الثعالبي في ثمار القلوب ص٤٨٤: ومن هنا قيل فيهم:

أفضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك

---

(١) نص على دخول جبرئيل معهم ابن حجر في الصواعق المحرقة ص٨٧ عند ذكر الآية الأولى.

وقد نظم هذا الحديث الشريف بنصه السيد السند الحجة السيد محمد القزويني قدس الله سره فقال:

روت لنا فاطمة خير النسا ... حديث أهل الفضل أصحاب الكسا
تقول إن سيد الأنام ... قد جاءني يوماً من الأيام
فقال لي إني أرى في بدني ... ضعفاً أرانِ اليوم قد أنحلني
قومي عليّ بالكسا اليماني ... وفيه غطيني بلا توانِي
فقمت نحوه وقد لبيته ... مسرعة وبالكسا غطيته
وصرت أرنو وجهه كالبدر ... في أربع بعد ليالٍ عشر
فما مضى إلّا اليسير من زمن ... حتى أتى أبو محمد الحسن
فقال يا أماه إني أجد ... رائحة طيبة أعتقد
بأنها رائحة النبي ... أخ الوصي المرتضى علي
قلت نعم ها هو ذا تحت الكسا ... مدثر به تغطى واكتسا
فجاء نحوه ابنه مسلما ... مستأذناً فقال أُدخل كرما
فما مضى إلّا القليل إلّا ... جاء الحسين السبط مستقلّا
فقال يا أُما أشم عندك ... رائحة كأنها المسك الذكي
وحق من أولاك منه الشرفا ... أظنها ريح النبي المصطفى
قلت نعم تحت الكساء هذا ... بجنبه أخوك فيه لاذا
فأقبل السبط له مستأذنا ... مسلماً قال له ادخل معنا
فما مضى من ساعة إلّا وقد ... جاء أبوهما الغضنفر الأسد

أبو الأئمة الهداة النجبا المرتضى رابع أصحاب العبا
فقال يا سيدة النساء ومن بها زوجت في السماء
إني أشم في حماك رائحه كأنها الورد الندي فائحه
يحكي شذاها عرف سيد البشر وخير من طاف ولبّى واعتمر
قلت له تحت الكسا التحفا وضم شبليك وفيه اكتنفا
فجاء يستأذن منه سائلا منه الدخول قال أُدخل عاجلا
قالت فجئت نحوهم مسلِّمة قال ادخلي محبوة مكرمة
فعندما بهم أضاء الموضع وكلهم تحت الكساء اجتمعوا
نادى إله الخلق جلَّ وعلا يسمع أملاك السماوات العلى
أُقسم بالعزة والجلال وبارتفاعي فوق كل عالي
ما من سماً رفعتها مبنيّه وليس أرض في الثرى مدحيّه
ولا خلقت قمراً منيرا كلا ولا شمساً أضاءت نورا
إلّا لأجل من هم تحت الكسا من لم يكن أمرهم ملتبسا
قال الأمين قلت يا رب ومن تحت الكسا تجمعهم لنا أبن
فقال لي هم معدن الرساله ومهبط التنزيل والجلاله
وقال هم فاطمة وبعلها والمصطفى والحسنان نسلها
فقال يا رباه هل تأذن لي أن أهبط الأرض لذاك المنزل
قال نعم فجئتهم مسلِّما مستأذنا أتلو عليهم (إنما)
يقول إن الله خصكم بها معجزة لمن غدا منتبها
أقرأكم رب العلى سلامه وخصكم بغاية الكرامه

وهو يقول معلناً ومفهِّما ... أملاكه الغر بما تقدما
قال علي قلت يا حبيبي ... ما لاجتماعنا من النصيب
قال النبي والذي اصطفاني ... وخصني بالوحي واجتباني
ما إن جرى ذكر لهذا الخبر ... في محفل الأشياع خير معشر
إلّا وأنزل الإله الرحمه ... وفيهم حفت جنود جمه
كلا وليس فيهم مغموم ... إلّا وعنهم كشف الهموم
كلا ولا طالب حاجة يرى ... قضاءها عليه قد تعسرا
قال علي نحن والأطياب ... أشياعنا الذين قدماً طابوا
فزنا بما نلنا ورب الكعبه ... فليشكرن كل فرد ربَّه
يا عجباً يستأذن الأمين ... عليهم ويهجم الخؤون
قال سليم قلت يا سلمان ... هل هجم القوم ولا استئذان
فقال أي وعزة الجبار ... وما على الزهراء من خمار
لكنها لاذت وراء الباب ... رعاية للستر والحجاب
فمذ رأوها عصروها عصره ... كادت بنفسي أن تموت حسره
تصيح يا فضة اسنديني ... فقد وربي قتلوا جنيني
فأسقطت بنت الهدى وا حزنا ... جنينها ذاك المسمى محسنا
ولم يرعها كل ما قد فعلوا ... لكنها قد خرجت تولول
فانبعثت تصيح بين الناس ... خلّوه أو لأكشفن راسي
ولو يشاء فرَّق الجموعا ... وترك العاصي له مطيعا
بصولة ترى الجنين أشيبا ... تذكر المنافقين مرحبا

وضربة يبري لها أعناقها من قبلها عمرو بن ودّ ذاقها
لكنه أمر من المختار أن يغمدن سيف ذي الفقار

ولأعجوبة الزمان حجة الإسلام السيد عدنان آل السيد شبر البحراني نوّر الله ضريحه في هذا الحديث:

دع عنك حزوى وذكرى شعب سعدان
واستوقف العيس في أكناف كوفان
والثم ثرى بقعة أرست برفعتها دعائم فوق عيّوق وكيوان
واجعل شعارك لله الخشوع بها ولذ بقبر إمام الإنس والجان
القاهر القادر الفرد العلي ومن قد أظهر اللّهُ فيه خير أديان
الأول الآخر العلام من نطقت به الزبور وتوراة ابن عمران
الباطن الظاهر الحبر الذي شهدت بما أقول به آيات قرآن
أصل الوجود وعين الواحد الأحد الرب الودود ومردي كلّ شيطان
من يوشع الطهر موسى عند مفخره من آصف الملك المولى سليمان
أخو الرسول أبو السبطين حيدرة زوج البتول ومنجي المذنب الجاني
أولئك الغر أصحاب الكساء ومن قد باهل الله فيهم أهل نجران
يا طالباً للكسا شرحاً نبيِّنه اسمع مقالي وما أروي بتبيان
روى الثقات الكرام الصادقون لنا رواية وردت عن خير نسوان
بنت الرسول البتول الطهر فاطمة
ذات الفخار وذات الفخر والشان

أن النبي أتى يوماً لمنزلها
يشكو لها الضعف شكوى المدنف العاني
قالت فقلت له إني أُعيذك با للّه المهيمن من ضعف وأهوان
فقال قومي وغطيني بنية با لكسا اليماني إن الضعف أضناني
قالت فغطيته مذ قال لي وإذا ذاك المحيّا ونور البدر سيان
فما مضت ساعة إلّا وقد قدم السبط الزكي إلى داري وحياني
وقال إني أشم اليوم رائحة الـ مختار جدي بلا زور وبهتان
فقلت ها هو ذا تحت الكسا أيا سرور قلبي ويا رَوْحي وريحاني
فجاءه ثم حياه وقال ألا هل يأذن الجد أن أغدو له ثاني
فقال ادخل وكن تحت الكساء معي يا نور عيني ويا نفسي وجثماني
فما مضت ساعة من بعد ذا وإذا بالسبط نجلي غريب الطف وافاني
فقال لي بعد أن حيّى تحيته مستبشراً جذلاً قولاً بإعلان
يا أُم إني أشم اليوم رائحة لديك طيبة أودت بأشجاني
كأنها يابنة المختار رائحة الـ جدّ العطوف ونسل الطهر عدنان
فقلت ها هو ذا والمجتبى ولدي
أخوك تحت الكسا السامي ضجيعان
فجاءه ثم حياه وقال له
هل يدخل اليوم أيضاً سبطك الثاني
فقال ادخل وكن تحت الكساء معي
يا سلوة البضعة الزهرا وسلواني

قالت وجاء أمير المؤمنين إلى ... بيتي سريعاً وحياني وناداني
يا بنت أكرم مبعوث لأمته ... وأشرف الخلق من إنس ومن جان
إني أشم لديك اليوم رائحة الـ ... هادي أبيك ابن عمي خير خلاني
فقلت ها هو ذا تحت الكساء مع الـ ... سبطين ابنيك يا حصني وإحصاني
فجاء نحو الكسا مستبشراً جذلاً ... مسلّماً غير كسلان ولا واني
وقال هل يأذن الهادي الأمين بأن ... أكون تحت الكسا إن كان يهواني
فقال ادخل أخي فيه وكن معنا ... يا خير هادٍ ومطعام ومطعان
وجئت إذ دخلوا فيه مسلِّمة ... على النبي بإرفاق وإحسان
وقلت هل يأذن البر العطوف أبي ... بأن أكون مع السبطين سلواني
فقال لي مؤذناً تم السرور بك ... وفيه ما أتمنى اللّهُ أعطاني
قالت فلما اجتمعنا فيه خمستنا ... نادى الإله بإظهار وإعلان
أيا ملائكتي والساكنين من ... الغر الكرام سماواتي وأكواني
وعزتي وجلالي ما خلقت سماً ... مبنية لا ولا أرضاً وسكّان
إلا لحب الكرام الخمس من جمعوا ... تحت الكساء بهذا الوقت والآن
فقال جبريل من تحت الكساء أيا ... رب العباد ومولى كل سلطان
فقال هم أهل بيت النبوة بل ... هم معدن لرسالاتي وخزّاني
هم هم فاطم الزهرا ووالدها ... وبعلها وبنوها آل عدنان
فقال فاهبط وبلغ للنبي أخ ... القدر العلي تحياتي ورضواني
قالت فجاء وحياه وقال ألا ... إن العلي الجليل القدر والشان
يقريك منه تحيّاتٍ معظمة ... مشفوعة بكرامات وأيمان

وأنه ما دحى أرضاً ولا خلق الـ سبع الطباق بتشييد وبنيان
ولا جرى أبداً بحر وسار به فلك ولا ضاء في الآفاق بدران
كلا ولا دار في السبع العلى فلك إلا لأجلكم من غير بهتان
وقد رضي يا أخي أني أكون لكم تحت الكسا سادساً هل أنت ترضاني
فقال ادخل فإني قد رضيت بما يرضى الإله به يا خير إخواني
قالت فقال علي للنبي ألا يا أشرف الخلق من إنس ومن جان
ما في الجلوس لنا تحت الكساء من الـ فضل المعد لدى ربي ورحماني
فقال اعلم ومن للخلق أرسلني ثم اصطفاني ونبّاني وناجاني
ما محفل جمع الأشياع واذَّكروا هذا الحديث به يا خير إنسان
إلا وقد أنزل الرحمن رحمته عليهم وجزاهم خير إحسان
وحفَّ فيهم إلى حين افتراقهم غر الملائك من قاصٍ ومن دان
واستغفرت لهم عن كل ما اكتسبت أيديهم وانثنوا عنهم بغفران
فقال والله قد فزنا وفاز بنا أشياعنا والعدى باتت بخسران
وقال ما اجتمعت أشياعنا وتلت هذا الحديث بتصديق وإيمان
وفيهم كان مهموم لنائبة أو فيهم كان مغموم بأحزان
إلا وفرّج عنه الهم وانكشفت تلك الهموم وأضحى غير ولهان
فقال حيدرة فزنا وخالقنا يوم القيام وفي الدنيا برضوان
وفاز شيعتنا طراً وقد سعدوا كما سعدنا بحور ثم ولدان
يا منكراً فضل أصحاب الكسا سفهاً وراغباً عنهم من غير رهبان
سل أمك اللخناء إن صدقت كم أشركت فيك من رجس وشيطان

إنّا عذرناك تصديقاً لسيدنا الهادي النبي وقد نادى بإعلان
إنّا لقوم كرام ليس يبغضنا إلّا ابن زانية فدعاء أو زاني
وحرمة البيت والهادي وعترته وتلك غايات أقسامي وأيماني
لو أجمع الناس طراً في محبتهم لما طغا أحد أو عال سهمان

٨٨ ..... وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام

عصمة الصدّيقة عليها السلام

لقد عرفت في ما تقدم اتفاق المفسرين وأرباب الحديث والتاريخ على أن الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نزلت في من اشتمل عليهم الكساء وهم النبي الأعظم ووصيه المقدم وابنته الزهراء وسبطاه سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ولم يخفَ المراد من الرجس المنفي في الآية بعد أن كانت واردة في مقام الامتنان واللطف بمن اختصت بهم، فإن الغرض بمقتضى أداة الحصر قصر إرادة المولى سبحانه على تطهير من ضمهم الكساء عن كلّ ما تستقذره الطباع ويأمر به الشيطان ويحق لأجله العذاب ويشين السمعة وتقترف به الآثام وتمجه الفطرة وتسقط به المروءة وإليه يرجع ما ذكره ابن العربي في الفتوحات المكية في الباب ٢٩ من أن الرجس فيها عبارة عن كلّ ما يشين الإنسان وكذا ما حكاه النووي في شرح صحيح مسلم عن الأزهري من أنه كل مستقذر من عمل وغيره.

وليس من المعقول تفسيره بخصوص الحدث المرتفع بالطهارات الثلاث: الوضوء والغسل والتيمم بحيث يكون المراد من تطهيرهم كونهم دائماً على طهارة رافعة للحدث الأصغر إذ لم يثبت لهم هذا الحكم دون الأُمة كما لا يراد منه خصوص الخبث لأن التطهير منه واجب على عامة المكلفين ولا يختص بمن نزلت فيهم الآية وحمل التطهير في الآية على عدم تأثر الأخباث فيهم إذا أصابتهم لا قرينة عليه.

بل المراد من إذهاب الرجس الذي هو مساوق لحصول الطهارة المرادة للمولى جل شأنه معنى أرقى من جميع ذلك وهو ما أشرنا إليه من نفي عموم الرجس فإن اللام الداخلة عليه للاستغراق الجنسي ولم تكن هناك قرينة متصلة أو منفصلة على تخصيصه بنوع خاص من الرجس، وهذا المعنى الذي قلناه هو الموافق للامتنان الإلهي واللطف الربوبي وهو عبارة عن العصمة العامة التي تقول بها الإمامية الاثنا عشرية في أئمتهم عليهم السلام، فالكتاب العزيز معاضد لما أفادته البراهين الجلية من قداستهم عن كل ذلك.

وعليه فالآية المباركة دالة على مشاركة الصديقة الطاهرة عليها السلام لهم في هذا المعنى الجليل أعني العصمة الثابتة للأنبياء والأوصياء لأنها كانت معهم تحت الكساء حين نزول الآية الكريمة ومن أولئك الأفراد الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولو أعرضنا عن البرهنة العلمية فإنّا لا ننسى مهما نسينا شيئاً أنها صلوات الله عليها مشتقة من نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنتجب من الشعاع الإلهي فهي شظية من الحقيقة المحمدية المصوغة من عنصر القداسة المفرغة في بوتقة النزاهة وأنها من أغصان الشجرة النبوية وفرع من جذم الرسالة ولمعة من النور الأقدس المودع في ذلك الأصل الكريم فمن المستحيل والحالة هذه أن يتطرق الإثم إلى أفعالها أو أن توصم بشيء من شية العار فلا يهولنك ما يقرع سمعك من الطنين أخذاً من الميول والأهوال المردية بأن العصمة الثابتة لمن شاركها في الكساء لأجل تحملهم الحجية من رسالة أو إمامة وقد تخلت (الحوراء) عنهما فلا تجب عصمتها فإنّا لم نقل بتحقق العصمة فيهم عليهم السلام لأجل تبليغ الأحكام حتى يقال بعدم عصمة الصديقة لعدم توقف التبليغ عليها وإنما تمسكنا لعصمتهم بعد نص الكتاب العزيز باقتضاء الطبيعة المتكونة من النور الإلهي المستحيل في من اشتق منه مقارفة إثم أو تلوث بما لا يلائم ذلك النور الأرفع حتى في مثل ترك الأوْلى.

وهذه القدسية كما أوجبت عدم تمثل الشيطان بصورهم في المنام على ما أنبأت عنه الآثار الصحيحة أوجبت نزاهة (الزهراء) عما يعتري النساء عند العادة والولادة تفضيلاً لها ولمن ارتكض في بطنها من طاهرين مطهرين.

ومما يؤكد العصمة فيها المتواتر من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة

بضعة مني يغضبني من أغضبها ويسرني من سرَّها وإن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها[١]، فإن هذا كاشف عن إناطة رضاها بما فيه مرضاة الرب جل شأنه وغضبه بغضبها حتى إنها لو غضبت أو رضيت على أمر مباح لا بدّ من أن يكون له جهة شرعية تدخله في الراجحات ولم تكن حالة الرضا والغضب فيها منبعثة عن جهة نفسانية وهذا معنى العصمة الثابتة لها سلام الله عليها.

وقد استفاد السهيلي من هذه الأحاديث أنها أفضل من الشيخين لكونها بضعة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأن سبّها كفر لأنه يغضب أباها قطعاً ويوجب سخط المولى سبحانه ويقول ابن حجر: كل من أوقع في فاطمة فتأذت به فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتأذى به بشهادة هذا الخبر ولا إشكال في تحريم أذى من يتأذى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتأذيه[٢] فتنبه من هذا لأمر غامض.

---

(١) الغدير لحجة الإسلام الشيخ ميرزا عبد الحسين الأميني: ج٧، ص١٧٦.
(٢) المصدر: ص٢٣٥، ج٧.

مظلوميّة العترة

لم يزل النبي ﷺ يعرِّف الأُمة الحوادث التي تكون بعده وتوثب النفر من أُمته على اغتصاب الحق من أهله ومظلوميتهم وأوضح لهم طريق المخرج من تلك الفتن فقال: ما زلت أنا والنّبيون من قبلي والمؤمنون مبتلين بمن يؤذينا ولو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله له من يؤذيه ليؤجره على ذلك، ولقد عهد إلي ربي تعالى أن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني فبشره بذلك فقلت: اللهم اجلُ قلبه واجعل ربيعة الإيمان في قلبه قال سبحانه: قد فعلت ولكني مستخصه ببلاء لم يصبه أحد من أمتك قلت: أخي وصاحبي فقال جل شأنه: قد سبق مني أنه مبتلىً ومبتلىً به[1].

ثم قال ﷺ: أيها الناس سيلي أموركم من بعدي رجال

(١) هذان حديثان تداخلا رواهما المجلسي في البحار: ج٧، عن العلل وأمالي الطوسي.

يعرِّفونكم ما تنكرون وينكرون ما تعرفون[١] يطفئون السنة ويحدثون البدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها[٢]، فعليكم بالعروة الوثقى وهي ولاية سيد الوصيين وأمير المؤمنين وإمام المسلمين بعدي علي بن أبي طالب[٣] وهو وصيي وقاضي ديني وعداتي والفارق بين الحق والباطل والحامل غداً لواء رب العالمين وهو وولده من بعده ثم من الحسين ابني أئمة هداة مهديون إلى يوم القيامة أشكو إلى الله جحود أمتي لأخي وتظاهرهم عليه وظلمهم له وأخذهم حقه فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم يقتل مظلوماً من بعد أن يملأ غيظاً ويوجد عند ذلك صابراً[٤].

وقال لعمار بن ياسر: إن سلك الناس وادياً فاسلك وادي علي ابن أبي طالب وخلِّ عن الناس، إن علياً لا يردك عن هدى ولا يوردك في ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله[٥].

ودخلت عليه فاطمة في مرضه الذي توفي فيه فقال لها: يا بنية أنت المظلومة بعدي وأنت المستضعفة فمن آذاك فقد آذاني

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص٣٥٧.
(٢) مسند أحمد: ج١، ص٣٩٩.
(٣) كشف اليقين للعلامة.
(٤) اليقين لابن طاووس: ص١٨٨، طبع النجف.
(٥) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٦.

ومن غاظك فقد غاظني ومن جفاك فقد جفاني ومن قطعك فقد قطعني ومن ظلمك فقد ظلمني ومن سرك فقد سرني ومن وصلك فقد وصلني لأنك مني وأنا منك وأنت بضعة مني وروحي التي بين جنبيّ إلى الله أشكو ظالميك من أُمتي[١].

وكأني بك يا بنية تستغيثين فلا يغيثك أحد من أمتي فبكت فاطمة فقال لها: لا تبكي يا بنية قالت: لست أبكي لما يصنع بي ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي[٢] بعد أربعين. يا فاطمة أنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك أستودعك الله وجبريل وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب[٣].

ثم قال لها: توكلي على الله واصبري كما صبر آباؤك من الأنبياء وأمهاتك من أزواجهم، يا فاطمة أما علمت أن الله اختار أباك فجعله نبياً وبعثه رسولاً وجعل علياً وصياً وزوّجك إياه فهو أعظم الناس حقاً على العالمين بعد أبيك وأقدمهم سلماً وأعزهم خطراً وأشدهم في الله وفيّ غضباً وأربطهم جأشاً وأسخاهم كفّاً ففرحت بذلك الزهراء[٤].

---

(١) كشف الغمة: ص١٤٨.

(٢) أمالي الطوسي.

(٣) اليقين لابن طاووس: ص١٨٩.

(٤) تفسير فرات: ص١٧٩.

فقال: يا بنيّة، الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة والذي بعثني بالحق نبياً لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها وإنك لأول من يدخلها بعدي كاسية والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك ولواء الحمد مع علي يكسى إذا كسيت ويحبى إذا حبيت، والذي بعثني بالحق لأقومن بخصومة أعدائك وليندمن قوم أخذوا حقك وقطعوا مودتك وكذّبوا علياً[1].

وأمر أم سلمة أن تكون على الباب فلا تدع أحداً يدخل عليه ثم أخذ بيد فاطمة ووضعها في كف علي وبكى وبكت فاطمة والحسنان لبكائه وقال: يا علي هذه وديعة الله ووديعة رسوله فاحفظ الله واحفظني فيها وإنك لفاعله هذه والله مريم الكبرى، أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألت يا علي انفذ لما أمرتك به فاطمة فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل واعلم يا أخي أني راضٍ عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها وويل لمن ابتزها حقها وويل لمن هتك حرمتها وويل لمن أحرق بابها وويل لمن آذى حليلها وويل لمن شاقَّها وبارزها اللهم إني منهم بريء وهم براء مني، ثم سماهم رسول الله وضم إليه فاطمة والحسن والحسين وعلياً عليهم السلام وقال: إني سلم لكم ولمن شايعكم

---

(١) الطرف لابن طاووس: ص٣٨، طبع النجف.

وزعيم بأنهم يدخلون الجنة وإني عدوّ وحرب لمن عاداكم وظلمكم وتقدم عليكم أو تأخر عنكم وعن شيعتكم[١].

وكان في ما اشترط على أمير المؤمنين الصبر وكظم الغيظ على ذهاب الحق وغصب الخمس فقال أمير المؤمنين: نعم يا رسول الله فقال جبرئيل: عرِّفه أنه منتهك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسوله فلما فهم أمير المؤمنين هذه الكلمة من جبرئيل كبرت عليه وخرّ لوجهه مغشياً عليه ولما أفاق سلَّم لأمر المولى سبحانه وقضائه وقال: رضيت يا رسول الله وإن انتهكت الحرمة وعطلت السنن ومزق الكتاب وهدمت الكعبة وخضبت لحيتي من دم رأسي.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم فاطمة والحسن والحسين بمثل ما أعلم به أمير المؤمنين فأجابوا بالتسليم والرضا والصبر على ما قضاه الله وقدره عليهم من البلاء[٢].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يبكي إذا نظر إلى أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين فإذا سألوه عن بكائه يقول: إني أتذكر ضربة علي على رأسه ولطم فاطمة خدها وطعن الحسن في فخذه والسم الذي يسقاه وقتل الحسين عليه السلام[٣].

---

(١) الطرف: ص٢٩.

(٢) الطرف: ٢٣.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص٣٨٣.

خطب يذيب من الصخور صلابها ... ويزيل من شم الجبال هضابها
فلو أن ما قاسيت منه صادفت ... صُمّ الصفا معشاره لأذابها
خطب له أمسيت أصفق راحتي ... وذوو المعالي منه تقرع نابها
أجداث تيم لا سقت لك حفرة ... ديم السحاب ويا عدمت ربابها
كلا ولا ريح الصبا لك روحت ... أرضاً ولا روى الغمام ترابها
قد ضم تربك من على إشراكها ... يوم السقيفة نكصت أعقابها
لم ترعَ ذمة أحمد من بعده ... فلها أطال الله فيك عذابها
نسجت لها في الشرك برد ضلالة ... ومن الخيانة فصلت جلبابها
عقدت بذلك بيعة مذ دحرجت ... للمصطفى الهادي النبي دِبابها
الله مما قد جنت إذ قدمت ... من ساد فيه بنو الضلال قبابها
قد أخرت من كان غامض علمه ... لمدينة العلم الرفيعة بابها
فأتتهم الزهراء تطلب إرثها ... ولهم أطالت في الكلام خطابها
فغدت تنمق تيم من إشراكها ... أخبار زور ما عدت كذابها
حتى إذا لم ترعَ ذمة أحمد ... فيها ولا راعت لها أنسابها
عطفت على القبر الشريف برنة ... تشكو إليه من اللئام مصابها
والله ما أدري لأي مصيبة ... تشكو فقد هد القوى ما نابها
ألعصرها بالباب حتى أسقطت ... أم حرقها يا للبرية بابها
أم لطمها حتى تناثر قرطها ... وبه تقصد عينها فأصابها
أم ضربها حتى تكسر ضلعها ... ضرباً يروم به الزنيم إيابها
أم غصبهم من بعد ذلك نحلة ... أم أنهم خرقوا لذاك كتابها

أم قودهم لإمامهم بنجاده كيما يبايع جهرة أذنابها
والطهر تهتف خلفهم في رنة ملأت من البيد القفار رحابها
ما عندهم لنبيهم فيها إذا ما قد تولى في المعاد حسابها
يوم به الزهراء تحمل محسناً سقطاً فتذهل للورى ألبابها[1]

(١) سوانح الأفكار في منتخب الأشعار مخطوط لفضيلة الخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شبر وفيه أن المنشئ لها السيد عيسى الكاظمي.

بيت الزهراء عليها السلام

في حديث سليم بن قيس لما بايع الناس أبا بكر وتخلف أمير المؤمنين عليه السلام ومعه بنو هاشم وجماعة من الصحابة فلم يحضروا في المسجد قال عمر لأبي بكر: أرسل إلى علي فليبايع فإنّا لسنا في شيء حتى يبايع فأرسل إليه أبو بكر: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنكر أبو الحسن عليه السلام أن يكون غيره خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلم الرسول بذلك أبا بكر فأعاده ثانياً: أجب أمير المؤمنين فقال عليه السلام: سبحان الله إن العهد لم يطل فينسى ألم يعلم أبو بكر أن هذا الاسم لا يصلح لغيري ولقد أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سابع سبعة أن يسلّموا عليّ بإمرة المؤمنين حتى استفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة بأن هذا من الله تعالى أو من رسوله فعرَّفهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمر من الله سبحانه بأن علياً أمير المؤمنين وسيد المسلمين يقعده الله يوم القيامة على الصراط يدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار ولما أخبر الرسول أبا بكر بذلك سكت عنه.

فأصرّ عمر على أن يبعث إليه فأرسل قنفذاً أحد بني كعب بن

عدي من الطلقاء[١] ومعه جماعة فأتوا بيت أمير المؤمنين فلم يأذن لهم في الدخول فرجع الجماعة وثبت قنفذ على الباب ولما سمع عمر من الجماعة ذلك غضب وأمرهم بحمل حطب يضعونه على الباب فإن خرج أمير المؤمنين إلى البيعة وإلّا أحرقوا البيت على من فيه، ووقف عمر على الباب وصاح بصوت رفيع يسمع علياً وفاطمة: لتخرجن يا علي إلى البيعة وإلا أضرمت عليك النار.

فصاحت فاطمة: ما لنا ولك فأبى أن ينصرف أو تفتح له الباب ولما رأى منهم الامتناع أضرم النار في الحطب[٢] ودفع الباب وكانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفها فمانعته من الدخول فركل الباب

---

(١) في كتاب سليم: ص١٠٧، أن عمر غرم جميع عماله نصف أموالهم لخيانة ظهرت منهم إلّا قنفذاً لم يغرمه شيئاً وهو مثلهم ورد عليه جميع ما أخذ منه وهو عشرون ألف درهم فكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في ذلك، إنه يشكر له ضرب فاطمة بالسوط حتى ماتت وفي عضدها مثل الدملج.

(٢) لا يرتاب من له وقوف على جوامع الحديث والسير في مجيء عمر بالحطب ليحرق بيت فاطمة مجداً في ذلك أو مهدداً. وفي العقد الفريد: ج٢، ص١٩٧، ط سنة ١٣٢١هـ أنه جاء بقبس وهو كما في القاموس شعلة نار مضرمة ولم يتوقف في هذا السيد المرتضى في الشافي: ص٢٤٠، وقال: رواه من غير الشيعة من لا يتهم على القول وتابعه الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي: ص٤١٥، ورواه السيد ابن طاووس في الطرائف: ص٦٤، عن جماعة وتقدم في أحاديث الطرف لابن طاووس تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم به في وصيته لعلي عليه السلام بالصبر.

برجله وألصقها إلى الجدار ثم لطمها على خدها من ظاهر الخمار حتى تناثر قرطها وضرب كفها بالسوط فندبت أباها وبكت بكاءً عالياً، يقول عمر: لما سمعت لها زفيراً عالياً كدت أن ألين وأنقلب لولا أن أتذكر كيد محمد وولوغ علي في دماء صناديد العرب فعصرتها ثانياً إلى الجدار فنادت: يا أبتاه هكذا يفعل بحبيبتك واستغاثت بفضة جاريتها وقالت: لقد قتل ما في بطني من حمل.

وخرج أمير المؤمنين عليه السلام فألقى عليها ملاءة فأسقطت[١] حملاً لستة أشهر سماه رسول الله صلى الله عليه وآله «محسناً»[٢] وتكاثروا عليه فوضعوا حبلاً في عنقه وأخرجوه إلى المسجد قهراً ملبيِّاً[٣].

قادوه قهراً بنجاد سيفه فكيف وهو الصعب يمشي طيِّعا
ما نقموا منه سوى أن له سابقة الإسلام والقربى معا

نعم يقول ابن الخطاب كانت في نفس علي هناة ولولاها لما تمكن جميع من في الأرض على قهره[٤].

ولما تراءى له قبر النبي صلى الله عليه وآله صاح يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلم يشعر الجمع إلّا ويد خارجة من القبر المطهر

---

(١) البحار: ج٨، ص٢٣١، عن الجزء الثاني من دلائل الإمامة.
(٢) تلخيص الشافي: ص٤١٥، والبحار: ج١٣، ص٢٠٥، كبني.
(٣) كتاب سليم: ص٦٨، وشرح النهج: ج٢، ص٥.
(٤) البحار: ج٨، ص٢٣٢ عن دلائل الإمامة.

متجهة نحو أبي بكر وصوت لا يشكون أنه صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا هذا أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً؟)[١].

وقال أمير المؤمنين: أنا أحق بهذا الأمر منكم فإنكم أخذتم هذا الأمر من الأنصار بحجة القرابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون فقال عمر: لست متروكاً حتى تبايع فقال عليه السلام لا أبايع أبداً[٢].

ثم صاح أمير المؤمنين بأبي بكر: ما أسرع ما توثبتم على أهل بيت نبيكم ألم تبايعني بالأمس بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال عمر: دع هذا فوالله لئن لم تبايع لنقتلنك فقال عليه السلام: إذاً والله أكون عبداً لله وأخاً لرسوله المقتول فأنكر عمر تلك الأخوّة الثابتة له يوم المؤاخاة الأولى والثانية[٣].

وعرَّفه أمير المؤمنين أنّه لولا الوصية من رسول الله بالصبر على ما يحل به والخضوع للأمر الربوبي ولو انتهكت الحرمة

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص٤١٠. وبصائر الدرجات للصفار: ص٧٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٢، ص٥.

(٣) الاستيعاب بترجمة علي عليه السلام.

وعطلت السنن لعرف كيف يدخل داره ويروّع حليلته فصاح عمر بأبي بكر: ما جلوسك على المنبر وهذا محارب لك فإما أن يبايع أو تضرب عنقه، فرفع الحسنان عليهما السلام أصواتهما بالبكاء لما سمعا ذلك فقال لهما أمير المؤمنين: لا تبكيا إنهما لن يقدرا على قتل أبيكما وجرد خالد سيفه وقال: يا علي بايع وإلّا قتلتك فأخذ أبو الحسن بمجامع ثوبه ورفعه ثم ألقاه على قفاه[١].

وخرجت فاطمة الزهراء خلفه ومعها نساء بني هاشم وهي تقول: والذي بعث محمداً بالحق نبياً لئن لم تخلّوا عن ابن عمي لأنشرن شعري وأضعن قميص رسول الله على رأسي وأصرخن إلى الله فما صالح بأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم مني ولا الفصيل بأكرم من ولدي، يقول سلمان الفارسي: كنت قريباً منها فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله قد تقلعت من أسفلها حتى لو أراد الرجل أن ينفذ من تحتها لنفذ فدنوت منها وقلت: يا سيدتي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني السبب في هلاك الأمة فهدأت الصديقة عليها السلام ورجعت الحيطان حتى ثارت غبرة من أسفلها[٢].

---

(١) كتاب سليم: ص٢٠٠.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ص٥٦، وفي روضة الكافي للكليني ملحقة بتحف العقول: ص٢١٩، خرجت واضعة قميص رسول الله صلى الله عليه وآله على رأسها تريد أن تنشر شعرها.

الواثبين لظلم آل محمد ومحمد ملقىً بلا تكفين
والقائلين لفاطم آذيتنا في طول نوح دائم وحنين
والقاطعين أراكة كيلا تقيـ ـل بظل أوراق لها وغصون
ومجمّعي حطب على البيت الذي لم يجتمع لولاه شمل الدين
والداخلين على البتولة بيتها والمسقطين لها أعز جنين
والقائدين إمامهم بنجاده والطهر تدعو خلفهم برنين
خلّوا ابن عمي أو لأكشف في الدعا رأسي وأشكو للإله شجوني
ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلّا دوني
ورنت إلى القبر الشريف بمقلة عبرى وقلب مكمد محزون
قالت وأظفار المصاب بقلبها غوثاه قلَّ على العداة مُعيني
أبتاه هذا السامري وعجله تبعا ومال الناس عن هارون[1]

ولما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى المنزل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم خالد بن سعيد بن العاص والمقداد وأُبي بن كعب وعمار بن ياسر وأبو ذر وسلمان وعبد الله بن مسعود وبريدة الأسلمي وخزيمة بن ثابت وسهل بن حنيف وأبو أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان.

وقالوا له: اجتمع رأينا أن نأتي أبا بكر فننزله عن المنبر بعد أن نستشيرك في ذلك لأن الحق حقك وأنت أولى بالأمر منه فقال

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلي رحمه الله.

لهم أمير المؤمنين: لو فعلتم ما كنتم إلّا حرباً لهم وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها: والكاذبة على ربها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي فأبوا إلّا السكوت لما تعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه وأنهم يطالبون بثارات الجاهلية والله لو فعلتم لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ولببوني وقالوا لي: بايع وإلا قتلناك فذكرت قول رسول الله: يا علي إن القوم سينقضوا أمري ويستبدوا بها دونك ويعصوني فيك فعليك بالصبر حتى ينزل الأمر وذلك قول ربي جلّ شأنه.

ولكن ائتوا الرجل وخبروه بما سمعتم من نبيكم ليكون أعظم في الحجة عليه وأبلغ في العقوبة إذا أتى ربه وعصى نبيه وخالف أمره، فقاموا من عنده إلى المسجد وكان يوم جمعة واحتفّوا بالمنبر وعليه أبو بكر فتكلم كل واحد من هؤلاء الاثني عشر مع أبي بكر معرفاً له ما سمعه من الرسول الأعظم في الوصية بعلي وأهل بيته وأنه الخليفة من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة يقيم فيهم الحلال والحرام ويزيح الشبه والأوهام وينقذهم من هوة الضلال وأنّ الأمر يكون من بعده للحسن ثم للحسين ثم للأئمة من ولد الحسين.

ولما أكثر القوم من وعظه وتعريفه الخطأ في فعلته حتى قال له ذو الشهادتين: ألست تعلم أن رسول الله قبل شهادتي وحدي ولم يطلب معي شاهداً آخر؟ قال أبو بكر: نعم فقال خزيمة:

أشهد أني سمعت رسول الله: يقول أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم.

فنزل أبو بكر عن المنبر وجلس في بيته ثلاثة أيام فأتاه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومعهم جماعة من عشائرهم شاهرين السيوف وأخرجوه إلى المسجد فرقي المنبر وقال قائل منهم: لئن عاد أحد منكم وتكلم بمثل ما تكلم به لنملأن أسيافنا منه فخاف أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وجلسوا في منازلهم[١].

ولما علم أبو سفيان ببيعة أبي بكر وقف على بيت أمير المؤمنين عليه السلام وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيّما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم وإليكم ... وليس لها إلّا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم ... فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأي امرئ يرمي قصياً ورأيها ... منيع الحمى والناس من غالب قصي[٢]

ثم أقبل أبو سفيان إلى العباس بن عبد المطلب وقال له: يا أبا الفضل إن هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وإنه ليحكم فينا غداً هذا الفظ الغليظ من بني عدي فقم

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ج٢، ص٦٧.
(٢) شرح النهج الحديدي: ج٦، ص١٨٣، ط. الأعلمي.

بنا حتى ندخل على علي عليه السلام ونبايعه بالخلافة وأنت عم رسول الله وأنا رجل مقبول القول في قريش فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم، فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أبو سفيان: يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنا تبعاً لتيم الأراذل[١] ابسط يدك أبايعك فوالله إن شئت لأملأنها على أبي فصيل يعني أبا بكر خيلاً ورجالاً[٢].

فزجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال: والله ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك طالما بغيت الإسلام شرّاً لا حاجة لنا في نصيحتك[٣].

فصاح أبو سفيان إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أموركم فقيل له: إن أبا بكر ولّى ابنك فقال: وصلته رحم وسكت[٤].

وفي رواية الشريف الرضي أن أمير المؤمنين لما امتنع من موافقة أبي سفيان على البيعة قال:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرّجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ص١٠٤ إيران.

(٢) تأريخ الطبري: ج٣، ص٢٠٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١، ص٧٤.

(٣) كامل ابن الأثير: ج٢، ص١٢٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٠٢.

وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه فإن أقل يقولوا حرص على الملك وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويِّ البعيدة[1].

وقال عليه السلام في بعض هذه الأيام: أيتها الأمة التي خدعت فانخدعت وعرفت خديعة من خدعها فأصرت على ما عرفت واتبعت أهواءها وضربت في عشواء غوايتها واستبان لها الحق فصدَّت عنه والطريق الواضح فتنكَّبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه وشربتم الماء بعذوبته وادخرتم الخير من موضعه وسلكتم من الحق نهجه لنهجت بكم السُّبل وبدت لكم الأعلام وأضاء لكم الإسلام فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد ولكن سلكتم سبيل الظلام فأظلمت عليكم دنياكم برحبها وسدت عليكم أبواب العلم فقلتم بأهوائكم واختلفتم في دينكم فأفتيتم في دين الله بغير علم واتبعتم الغواة فأغوتكم وتركتم الأئمة فتركوكم فأصبحتم تحكمون بأهوائكم إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر فإذا أفتوكم قلتم هو العلم بعينه فكيف وقد تركتموهم ونبذتموهم وخالفتموهم رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الخامسة، ج١، ص٦٠، طـ. الأعلمي.

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أُمرتم وأني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم ووصيّ نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وخيرة ربكم تعالى ولسان نوركم والعالم بما يصلحكم[1].

إن الله تعالى امتحن بي عباده وقتل بيدي أضداده وأفنى بسيفي جُحاده وجعلني زلفة للمؤمنين وحياض موت على الجبارين وسيفه على المجرمين وشد بي أزر رسوله وأكرمني بنصره وشرفني بعلمه وحباني بأحكامه وخصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته فقال صلى الله عليه وآله وسلم وقد حشد المهاجرين والأنصار: أيها الناس إن علياً مني كهارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول إذ عرفوني أني لست بأخيه لأبيه وأمه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه ولا كنت نبياً فأقتضي نبوة ولكن كان ذلك منه استخلافاً لي كما استخلف موسى هارون حيث يقول: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم حين تكلمت طائفة وقالت: نحن موالي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حجة الوداع ثم صار إلى غدير خم فأُصلح له شبه المنبر ثم علاه وأخذ بعضدي حتى رئي بياض

---

(١) هذا من خطبة له عليه السلام تعرف بالطالوتية لذكر طالوت فيها، ذكرها الشيخ الكليني في روضة الكافي ص٦٨٦ ط. الأعلمي، ورواها عنه المجلسي في البحار: ج٨، ص٤٧، والفيض في الوافي: ج٤، ص١٠.

إبطيه رافعاً صوته قائلاً في محفله: (من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه) فكانت على ولايتي ولاية الله وعلى عداوتي عداوة الله وأنزل الله في ذلك اليوم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فكانت ولايتي كمال الدين ورضى الرب.

ثم أنزل الله تعالى اختصاصاً لي وتكريماً نحلنيه وإعظاماً وتفضيلاً من رسول الله منحنيه وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ في مناقب لو ذكرتها لعظم بها الارتفاع وطال لها الاستماع.

ثم بعد أن استعرض أحوال من تقمص الخلافة دونه وما كانوا عليه في الجاهلية والإسلام وما سيصيرون إليه قال: إن أول شهادة زور وقعت في الإسلام شهادتهم بأن رسول الله مضى ولم يستخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيب المبارك أول مشهود عليه بالزور في الإسلام وعن قليل يجدون غبّ ما يعملون وسيجد التالون غبّ ما أسسه الأولون.

ولئن كانوا في مندوحة من المهل وسعة من المنقلب واستدراج من الغرور فقد أمهل الله تعالى شداد بن عاد وثمود بن عبود وبلعم بن باعورا وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وأمدهم بالأموال والأعمار وأتتهم الأرض ببركاتها ليذَّكروا آلاء الله وليعرفوا الإهابة له والإنابة إليه ولينتهوا عن الاستكبار، فلما

بلغوا المدة واستتموا الأكلة أخذهم الله فمنهم من حصب ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من أحرقته الظُلَّة ومنهم من أودته الرجفة ومنهم من أردته الخسفة فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ولو كشف لك عما عليه الظالمون وآل إليه الأخسرون لهربت إلى الله مما هم عليه مقيمون وإليه صائرون.

أيها الناس إني فيكم كهارون في آل فرعون وكباب حطة في بني إسرائيل وكسفينة نوح في قوم نوح وإني النبأ العظيم والصديق الأكبر وعن قليل ستعلمون ما توعدون وهل هي إلّا كلعقة الآكل ومذقة الشارب وخفقة الوسنان ثم تلزمهم المعرات خزياً في الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون[1].

أما والله لو كان لي عدة أصحاب طالوت أو عدة أهل بدر وهم أعداؤكم لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق وتنيبوا للصدق فكان أرتق للفتق وآخذ بالرفق اللهم فاحكم بيننا بالحق وأنت أحكم الحاكمين.

---

(١) من خطبة طويلة هي خطبة الوسيلة ذكرت في روضة الكافي ص٦٨١، ط. الأعلمي، قالها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبعة أيام، وعرفت بالوسيلة لذكر الوسيلة فيها وهي منزلة له ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يصل إليها نبي مرسل ولا ملك مقرب وفي هذه الخطبة نصائح مهمة وآداب جمّة لو عملت الأمة بها لأكلت من فوق رؤوسها ومن تحت أرجلها ولأجابتها الطير في الأجواء ولكنها أبت إلا النكوص والطغيان.

ثم خرج من المسجد فمر بصيرة فيها نحو من ثلاثين شاة فقال: والله لو أن رجالاً ينصحون لله عز وجل ولرسوله بعدد هذه الشياة لأزلت ابن آكلة الذبان[١] عن ملكه، وعند المساء بايعه ثلثمائة وستون رجلاً على الموت فقال عليه السلام: اغدوا إلى (أحجار الزيت) محلقين، وحلق أمير المؤمنين عليه السلام فما وافاه من أولئك محلقاً إلّا أبو ذر والمقداد وعمار وحذيفة بن اليمان وسلمان فرفع أمير المؤمنين عليه السلام يده إلى السماء وقال: اللهم إن القوم استضعفوني كما استضعفت بنو إسرائيل هارون، اللهم إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء توفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

أما والبيت والمفضي إلى البيت لولا عهد عهده النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأوردت المخالفين خليج المنية ولأرسلت عليهم شآبيب صواعق الموت وعن قليل سيعلمون[٢].

---

(١) في الحيوان للجاحظ: ج٣، ص١٢٥، ورد في شعر السيد الحميري أن أبا قحافة آكل الذبان فإنه كانت بيده مذبة يطرد بها الذبان عن جفنة ابن جدعان ويدور حولها والشعر هذا:

أترى صهاكاً وابنها وابن ابنها ... وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون وفي الأمور عجائب ... يأتي بهن تصرف الأزمان
إن الخلافة في ذؤابة هاشم ... فيهم تصير وهيبة السلطان

(٢) من الخطبة الطالوتية المتقدمة.

حديث فدك

لقد لعبت الأيدي بهذا الحديث كيفما شاءت لها الأهواء وصوّرته الأقلام المستأجرة متفكك العرى بعد أن أعيت الغاصبين الأولين حجج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام، وحولته ريشة الميول والشهوات إلى صورة عسى أن تفلج بها حجتهم فأحدث ما اقترفوه في أمره انشقاقاً كبيراً بين أتباع العترة الطاهرة وبين أولئك المهملجين مع من تنمر تجاه دعوى الصديقة الحوراء.

والصورة الصحيحة للحادثة بعد مخض ما اتفق عليه علماء التفسير والحديث والتأريخ الساذج عن ورطات المرجفين هي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح خيبر قال لأهل فدك ما يؤمنكم في هذا الحصن وأمضي إلى حصونكم فأفتحها؟ قالوا: إنها مقفلة ومفاتيحها محرزة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لقد دفعت إلي مفاتيحها ثم أخرجها إليهم ولما راجعوا من ائتمنوه عليها ولم يجدوا المفاتيح في السفط المحرزة فيه عرفوا أن الأمر عظيم فسألوه عمن سلمها إليه قال صلى الله عليه وآله وسلم: أعطانيها الذي أعطى الألواح موسى بن عمران عليه السلام.

فأسلم جماعة منهم وخضع من لم يسلم لحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على البقاء فيها وأخذ الخمس منهم[١] فكانت فدك خالصة لرسول الله لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٢].

ثم نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[٣] فدعا فاطمة وقال لها: إن فدكاً لك ولعقبك من بعدك[٤] جزاءً عما كان لأُمك خديجة من الحق وهذه فدك نحلة لك بذلك وأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يكتب لفاطمة عليها السلام بها فكتب عليه السلام وشهد هو ومولى لرسول الله وأم أيمن كانوا حضوراً[٥].

فقالت فاطمة لأبيها: لست أُحدث فيها حدثاً ما دمت حياً فإنك أولى بها ومن نفسي ومالي فعرَّفها نبيّ الإسلام عواقب الأمور ونفسيات الرجال وما يحدثونه بعده من انقلاب وتطورات وقال:

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٩٧ إيران.

(٢) فتوح البلدان للبلاذري: ص٣٧، وحكاه ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٤، ص٧٨ مصر عن كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري من عدة روايات. وقال في التعريف (بالجوهري): إنه عالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦، وسورة الروم، الآية: ٣٨.

(٤) تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج٤، ص١٧٧. من سورة الإسراء، وتفسير فرات: ص١١٨، وتفسير علي بن إبراهيم: ص٣٨٠، ولم ينكر ذلك المرتضى في الشافي: ص٢٣٥ والشيخ الطوسي في تلخيصه: ص٤٠٨.

(٥) الخرائج للراوندي: ص٩ الهند.

أكره أن أجعلها سبة فيمنعوك إياها من بعدي فخضعت لأمره التابع لوحي السماء وجمع الناس في منزله فأعلمهم بما نزل عليه من القرآن الحاكم بأن فدكاً لفاطمة[١] فكان وكيلها يجبي لها غلتها البالغة كل سنة أربعة وعشرين ألف دينار[٢] أو سبعون ألف دينار[٣].

فكانت تفرقها على الفقراء من بني هاشم والمهاجرين والأنصار حتى لم يبقَ عندها ما يسع نفقة اليوم لها ولولدها ولا بدع فيه بعد أن كانت بضعة من الرسول الأعظم و«محدَّثة» من قِبل المولى سبحانه على لسان ملك يتلو عليها حوادث الغابرين والتالين حتى جمعت مصحفاً عرف عند أهل البيت (بمصحف فاطمة)[٤] وإذا كان أبوها مالكاً لخزائن الأرض وأعطاه المهيمن جلّ شأنه قدرة التصرف في الأشياء كيفما شاء وقد تمرّ عليه الأيام طاوياً فابنته الحوراء سيدة نساء العالمين المتشظية من روحه المشتقة من النور الأقدس لا تتخطى طريقته المثلى فلم تعبأ بالدنيا ولذائذها على أن سيرة ابن عمها سيد الأوصياء نصب عينها فإنّ صدقته كانت تساوي أربعين ألف دينار[٥] أو أربعمائة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٩٧.

(٢) الخرايج: ص٩.

(٣) كشف المحجة لابن طاووس: ص١٢٤ نجف.

(٤) أصول الكافي للكليني بهامش مرآة العقول: ج١، ص١٧٥.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج١، ص٨٦.

ألف دينار[١]، ولو قسمت على بني هاشم لوسعتهم ولكنه يفرقها عليهم وعلى المحاويج من المهاجرين والأنصار حتى لم يبقَ عنده ما يمون به لعياله وقد تبلغ به الحاجة إلى بيع سيفه أو إزاره لقوت يومه[٢] وهذا شأن من تجرد عن الحياة الذميمة واتصل بالمبدأ الأعلى وكان واسطة الفيض الإلهي على الممكنات.

ولم تكن مطالبة الصديقة عليها السلام بفدك لرغبة في ما يعود منها عليها أليست هي وأمير المؤمنين والحسنان عليهم السلام آثروا المسكين واليتيم والأسير على نفوسهم حتى لم يذوقوا شيئاً غير الماء ثلاثة أيام فنزل في الثناء عليهم قرآن يتلى في الليل والنهار: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ إذاً فما تصنع بفدك وغير فدك؟ وإنما أرادت بتلك المحاججة مرة بعد أُخرى تعريف الأُمة المترددة في الغيّ الضالة عن الصراط السوي خطأ المتغلبين على المقام الإلهي المتأمّرين على الأمة بغير رضىً من الله ولا من رسوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

---

(١) شرح ميميّة أبي فراس.

(٢) كشف المحجة لابن طاووس ص١٢٤، النجف.

أجل إنها مطامع وغايات حسب أهل الشره لأجلها أن التغلب على فدك والعوالي مما يوجب تضعيف الحالة الاقتصادية على أمير المؤمنين وانصراف الناس عنه، ولئن أصابوا الغرض في هذا فقد وضح الصبح لذي عينين حين عرفوا عاقبة العثرة وأن ذلك التهجم فلتة:

ثم جاؤوا من بعدها يستقيلون وهيهات عثرة لا تقال
يا لها سوأة إذا أحمد قا م غداً بينهم فقال وقالوا[1]

وفي حديث المفضل بن عمر أنّ الصادق عليه السلام قال: لما بويع أبو بكر أشار عليه عمر بن الخطاب أن يمنع علياً عليه السلام وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً فإن شيعته إذا علموا ذلك تركوه وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا فصرفهم أبو بكر عن جميع ما هو لهم[2] وأمر بإخراج وكيل فاطمة من فدك فقالت له: لِمَ أخرجت وكيلي من فدك[3] وقد تصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها عليّ[4]؟ فطلب منها البينة فجاءته بأمير المؤمنين والحسنين وأسماء بنت عميس وأم سلمة ولم تشهد أم أيمن إلا بعد أن استشهدت أبا بكر بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها من أهل الجنة فاعترف بذلك فقالت: أشهد

---

(١) من قصيدة لمهيار.
(٢) كشكول السيد حيدر الآملي.
(٣) الاحتجاج للطبرسي: ص٥٨ النجف.
(٤) الاختصاص للشيخ المفيد مخطوط.

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة فدكا[١]

فقال عمر بن الخطاب: أما علي فزوجها والحسنان ابناهما وهم يجرون إلى أنفسهم[٢]، وأسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم[٣]، وأم سلمة تحب فاطمة فتشهد لها[٤]، وأما أم أيمن فامرأة أعجمية لا تفصح[٥].

إن العجب لا ينقضي من هذا التهور والطغيان على سيد الأوصياء وابنيه سيديْ شباب أهل الجنة كيف ينسب إليهم الإقدام على غير الحق لمحض جر النفع إليهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كأنهم تناسوا تنزيه الله تعالى لهم عن اقتراف الآثام في آية التطهير ومن أشدها شهادة الزور شرهاً في الحطام وطمعاً في رضيخة فدك وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن علياً مع الحق والحق معه لا يفترقان أبداً[٦].

---

(١) شهادة من جاءت بهم الزهراء عليها السلام ذكرها المفيد في الاختصاص والمجلسي في البحار: ج٨، ص١٠٥ والميرزا محمد علي الأنصاري في اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء: ٣٨٠ وفي الإصابة شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأم أيمن بالجنة.

(٢) وفي رواية سليم أما علي فيجر النار إلى قرصه.

(٣) كشكول السيد حيدر الآملي.

(٤) اللمعة البيضاء: ص٣٨.

(٥) كتاب سليم.

(٦) ورد هذا المضمون بألفاظ متقاربة في تاريخ بغداد للخطيب: ج١٤، =

والمتأمل في هذا النص المتفق عليه يتجلى له سرّ دقيق توخاه سيد الأنبياء بهذا اللون من البيان وهو أن صدور الحق يعرف من أمير المؤمنين فيما إذا تضاربت الأقوال وتباينت الآراء لأنه المرجع الفذ والموئل الوحيد في المشكلات كلها وعندما تلتبس الأحكام، فهذه الجملة من دلائل الخلافة العامة لسيد الأوصياء وليس المراد منها محض الإخبار بأن أبا الحسن عليه السلام صادق في أقواله شأن الرجال العدول في ما يلفظونه من قول، والذي يشهد للأول صدور هذا المضمون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موارد متعددة ولولا الإشارة إلى ما ذكرناه لما كان لتعدد موارده فائدة.

ولقد أدرك محض الحقيقة الفخر الرازي فذكر في تفسيره عند بيان الجهر بالبسملة أنه ثبت بالتواتر جهر علي بن أبي طالب بالبسملة ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار[1].

وليس ببعيد عن هذا في الغرابة طلب البينة من الصديقة عليها السلام بعد أن كانت يدها ثابتة على فدك تتصرف فيها تصرف المالكين من دون نكير ولها وكيل يشاهده المسلمون ومع ثبوت اليد لا

= ص٣٢١، وكفاية الطالب للكنجي: ص١٣٥، ومناقب الخوارزمي: ص٧٧، ومجمع الزوائد للهيثمي: ج٧، ص٣٥ وج٩، ص١٣٤.

(١) مفاتيح الغيب: ج١، ص١٠٥.

يحتاج إلى بينة وغيرها مع أن البينة إنما تطلب من المدعي إذا احتمل فيه خلاف الواقع، والزهراء عليها السلام ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فهي معصومة عن الخطل والآثام فيستحيل في حقها أن تدعي باطلاً أو تحدوها المطامع إلى طلب ما لا يتفق مع شريعة أبيها الأقدس.

ويتحدث «علم الهدى» وتلميذه «شيخ الطائفة» بأن أحداً من المسلمين لم يخالف في صدق «الحوراء» وإنما وقع الخلاف في وجوب تسليم ما ادعته بلا بينة أو لا بدّ لها من إقامة البينة، ولكن طلب البينة منها خروج عن فقه الشريعة لأن السرّ في إقامة البينة لحصول غلبة الظن بمطابقة ما تشهد به للواقع، ومن هنا كان الإقرار أقوى منها لشدة تأثيره في أغلبيته للظن وعليه فالعلم بصدق المدعي أقوى منهما ومعه لا يحتاج إلى بينة أو إقرار.

ومن هنا قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادة خزيمة بن ثابت وجعلها كشهادتين مع أنه لم يحضر البيع وإنما اعتمد على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان قبول شهادته تعريفاً للأمة بأن البينة إنما تطلب لدفع احتمال الإقدام على خلاف الواقع ومع القطع بصدق المدعي لم يكن وجه لإحضار البينة ولذا أجاز للحاكم أن يحكم بعلمه[1].

والقصة في شهادة خزيمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشترى فرساً من

---

(١) الشافي: ص٢٣٥، وتلخيصه ص: ٤٨.

أعرابي فمضى النبي ليقضيه الثمن واستتبع الأعرابي ولكنه تأخر لمساومة جماعة على الفرس من دون أن يشعروا بابتياع النبي ﷺ إياها حتى زاد بعضهم على ثمن النبي فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ: إن كنت مبتاعاً فابتعه وإلّا بعته فقال رسول الله ﷺ: أليس قد ابتعته منك؟ فأنكر الأعرابي ذلك، وجاء خزيمة بن ثابت الأنصاري وشهد بأن رسول الله ابتاع الفرس منه فقال له النبي ﷺ: بم شهدت يا خزيمة ولم تحضر البيع؟ قال: بتصديقك يا رسول الله إنّا صدقناك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول؟ فجعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين[١] ولقب بذي الشهادتين.

ولما أيست فاطمة عليها السلام من دعوى النحلة طالبته بالميراث فدفعها بشهادة عائشة وحفصة ورجل من العرب يقال له أوس بن الحدثان أن النبي ﷺ قال: لا أُورث[٢]، فقالت: هذه أول شهادة زور كيف لا أرث أبي وورث سليمان داود وورث يحيى زكريا؟

أصحيح أن هناك حكماً شرعياً في باب المواريث كان من خصائص النبي والأنبياء قصر العلم به على أبي بكر وعائشة

---

(١) الأذكياء لابن الجوزي: ص١٩، والدرجات الرفيعة للسيد علي خان بترجمته.

(٢) قرب الإسناد: ص٦٦ النجف، وصحيح البخاري: ج٢، ص١٦١ في باب فرض الخمس من حديث عائشة.

وحفصة وأوس بن الحدثان وخفي عن باب مدينة علم الرسول حتى ترك حليلته تدعي خلاف المشروع وهو مساعد لها على الدعوى، ولماذا باح صلى الله عليه وآله وسلم به للأجانب ولم يعهد به إلى ابنته وإلى من هو منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام؟ وإن إظهاره لهما أولى من تخصيص أولئك به حتى لا يثيرا بعده بذلك الطلب شجاراً أعقب حواراً وجدالاً كاد أن ينقلب جلاداً.

مع أن أمير المؤمنين لم يبارح النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نشأته إلى حين وفاته ليله ونهاره يأخذ منه مجامع العلوم وجوامع الأحكام ويقتص أثره في ملكاته ومعارفه كلها وهو الذي يقول:

ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويمسني جسده ويشمني عرقه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به من لدن أنْ كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي كل يوم علماً من أخلاقه ويأمرني بالاقتداء به[1]، ولم يجمع بيت في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠ وتسمّى القاصعة، ج٢، ص٣٩٤، ط. الأعلمي.

وأشم روح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل عليه الوحي فمن استقى عروقه من منبع النبوة ورضعت شجرته من ثدي الرسالة وتهدلت أغصانه من نبعة الإمامة ونشأ في دار الوحي وربي في بيت التنزيل ولم يفارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته إلى حال وفاته لا يقاس بسائر الناس[١].

ولما أيست الزهراء عليها السلام من أبي بكر رجعت إلى دارها مغضبة وهي تقول: اللهم إنهما ظلما بنت نبيك حقها فاشدد وطأتك عليهما فحملها أمير المؤمنين عليه السلام كما في شرح خطبتها على أتان ودار بها في بيوت المهاجرين والأنصار أربعين صباحاً ومعهما الحسن والحسين تسألهم النصرة على حقها فما أعانها أحد منهم وانتهت إلى معاذ بن جبل وأعلمته بما صنعه أبو بكر معها من غصب فدك وإخراج وكيلها منها ولم يجبها أحد من المهاجرين والأنصار فقال: إذاً أين تبلغ نصرتي وحدي فقامت من عنده غضبى وهي تقول: لا كلمتك الفصيح من رأسي فقال له: ابنه وأنا لا كلمتك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم تجب ابنته.

وأشار عليها أمير المؤمنين عليه السلام أن تأتي أبا بكر وحده لأنه أرق من صاحبه فأتته وحده وقالت: جلست مجلس أبي وادعيت

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٣٦٣.

مقامه ولو كانت فدك لك واستوهبتها منك لوجب عليك ردها علي فقال: صدقت ودعا بكتاب كتب فيه بإرجاع فدك إلى الزهراء عليها السلام فخرجت من عنده والكتاب معها فصادفها عمر في الطريق وعرف أنها كانت عند أبي بكر فسألها عن شأنها فأخبرته بكتابة أبي بكر برد فدك عليها وطلب الكتاب منها فامتنعت فرفسها برجله وأخذ الكتاب منها قهراً[١]، وبصق فيه وخرقه، وقال: هذا فيء للمسلمين يشهد بذلك عائشة وحفصة وأوس بن الحدثان فقالت عليها السلام: بقرت كتابي بقر الله بطنك[٢] وجاء عمر إلى أبي بكر وقال: كتبت لفاطمة بميراثها من أبيها فمن أين تنفق وقد حاربتك العرب[٣].

---

(١) الاختصاص للشيخ المفيد والشافي للسيد المرتضى: ص٢٣٦، وتلخيصه للشيخ الطوسي ص: ٤٨.

(٢) اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء: ص٣٨٠.

(٣) السيرة الحلبية: ج٣، ص٤٠٠، عن ابن الجوزي.

خطبة الصديقة عليها السلام

من الواضح الجلي أن هذه الخطبة من ذخائر بيت الوحي ولم يفتأ رجالات العلويين ومشايخهم نسباً ومذهباً يتحفظون عليها ويحرصون على روايتها لما فيها من حجج دامغة تثبت ظلامة العترة الطاهرة عند مناوئيهم ومبلغ أعدائهم من القساوة ودؤوبهم على الباطل وتهالكهم دون التافهات واضطهادهم ذرية نبيهم وتماديهم على الضلالة وقد طفحت الكتب بذكرها واشتبكت الأسانيد على نقلها في القرون الخالية وهلم جراً، ومن استشف حقائقها وألمّ بها إلمامة صحيحة ودقيقة لا يشك في أنها تنهدات الصديقة الحوراء وأنها نفثة مصدور وغضبة حليمة لا تجد ندحة من الإصحار بالحقيقة حيث بلغ السكين المذبح فصبتها في بوتقة البيان لتبقى حجة بالغة مدى الأحقاب تعريفاً للملأ الديني في الحاضر والغابر محل القوم من الفظاظة والحيف المفضيين إلى عدم جدارتهم لمنصب الخلافة وبعدهم عن مستوى الإمامة ومباينتهم للحق.

على أن جملها شاهد فذ على إثبات نسبتها إلى ابنة الرسالة لما فيها من إلماعة ضوء النبوة ونشرة من عبق الإمامة ونفحة من نفس الهاشميين مداره الكلام وأمراء البلاغة.

وهذه الخطبة الطويلة المشتملة على المعاني الجليلة وأسرار الأحكام الإلهية اتفق على نصها بطولها أبو جعفر محمد بن جرير ابن رستم الطبري من أعيان القرن الرابع ورواها في دلائل الإمامة ص٣١ من خمسة طرق وأبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من أعيان القرن السادس أرسلها إرسال المسلمات في الاحتجاج ص٦١ كما هي عادته في الكتاب، وأبو الحسن علي ابن عيسى الإربلي من أعيان القرن السابع في كشف الغمة ص١٤٥ رواها من كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة مقروءة على المؤلف في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ عن عدة طرق، وهذا الجوهري أثنى عليه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٨ مصر فقال: إنه عالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته، وأما أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ فرواها من طريقين ينتهي أحدهما إلى عروة بن الزبير إلى عائشة والآخر إلى زيد بن علي بن الحسين إلى العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ولم يأتِ عليها بتمامها إلّا أنه قارب تلك الروايات في نقله.

والسيد المرتضى قدس الله سره حيث إنه لم يكن بصدد

الإتيان عليها وإنما غرضه إثبات نسبتها إلى الصديقة الطاهرة اقتصر على ذكر الرواية التي صحت لديه فرواها في الشافي ص٢٣٠ عن أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ورواها المرزباني من طريقين أحدهما ينتهي إلى عروة عن عائشة والآخر ينتهي إلى أبي العيناء محمد بن القاسم اليمامي عن ابن عائشة البصري وتابعه على ذلك تلميذه الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ص٤١٣ وذكر كلاهما نتفاً من هذه الخطبة الجليلة.

وأما السيد رضي الدين علي بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ فرواها في الطرائف: ص٧٤، عن كتاب المناقب للحافظ الثقة أحمد بن موسى بن مردويه عن رجاله عن عروة عن عائشة وذكر شيئاً من أولها ووسطها وآخرها كما صنعه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٨ وكانت روايته عن كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري.

وكذلك ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨ فإنه ذكر في المناقب: ج١، ص٣١٨ إيران بعضاً من كلامها مع أبي بكر ومع الأنصار ومع أمير المؤمنين.

وذكر ابن ميثم المتوفى سنة ٦٧٩ في شرح النهج: ص٣٠٥ عند قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى ابن حنيف: «وما أصنع بفدك وغير فدك»؟ أنها خطبت خطبة طويلة قالت في آخرها: اتقوا الله حق تقاته إلى آخر خطابها.

وعلى كلّ فهذه الخطبة التي هي من محاسن الخطب وبدائعها رواها ابن طيفور في كتابه (بلاغات النساء) ص١٢، وروايته أقدم من رواية الجوهري لتقدمه عليه في السنين فما قيل في نسبتها لغيرها لا يعبأ به فإن السيد المرتضى يروي في (الشافي) ص٢٣١ عن أبي عبد الله المرزباني أن علي بن هارون حدثه عن عبد الله ابن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدكاً وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء[1] لأن الكلام منسوق البلاغة فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أولادهم وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيناء، وقد حدث الحسين ابن علوان بن عطية العوفي أنه سمع عبد الله ـ المحض ـ ابن الحسن ـ المثنى ـ ذكر عن أبيه هذا ثم قال أبو الحسين: وكيف ينكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام وهم يروون من كلام عائشة عند

---

(١) في معجم الأدباء: ج١٨، ص٢٨٦ اسم أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء وفي ص٢٨٩ قال: لقي جده الأكبر علي بن أبي طالب فأساء له المخاطبة فدعا عليه وعلى ولده من بعده بالعمى فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم.

موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة فيحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت وذكر الحديث بطوله.

وإنك تجد هذا الحديث المروي عن ابن طيفور في كتاب «بلاغات النساء» ص١٢ النجف بنصه غير أن في هذه الطبعة سقط واضح فإن الموجود فيها حديثه مع أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومن المقطوع به عدم اجتماعه مع زيد الشهيد فما في الشافي من الرواية عنه في اجتماعه مع حفيد زيد الشهيد هو الصحيح لكون عصرهما واحداً.

ولهذه الخطبة الطويلة شروح ذكرها شيخنا الحجة التقي المتقن المتتبع الشيخ آغا بزرك في كتابه «الذريعة إلى مصنفات الشيعة».

١ ـ شرح الخطبة للمولى الحاج محمد نجف الكرماني المشهدي مسكناً ومدفناً توفي سنة ١٢٩٢ هـ.

٢ ـ شرح الخطبة للحاج شيخ فضل علي بن المولى ولي الله القزويني المولود سنة ١٢٩٠.

٣ ـ لابن عبدون البزاز المعروف بابن الحاشر.

٤ ـ شرح الخطبة للسيد علي محمد تاج العلماء ابن السيد محمد سلطان العلماء ابن السيد دلدار علي المتوفى في لكنهو سنة ١٣١٢.

٥ ـ كشف المحجة للسيد الجليل صاحب التصانيف الكثيرة السيد عبد الله ابن السيد محمد رضا شبر المتوفى سنة ١٢٤٢هـ.

٦ ـ اللمعة البيضاء للحاج ميرزا محمد علي الأنصاري طبع في إيران.

٧ ـ الدرة البيضاء للسيد محمد تقي ابن السيد إسحاق القمي الرضوي طبع في إيران سنة ١٣٥٣ هـ.

وسيقف القارئ على هذه الخطبة التي يقول فيها الإربلي: إنها من محاسن الخطب وبدائعها عليها مسحة من نور النبوة وفيها عبقة من أرج الرسالة وقد أوردها المؤالف والمخالف نقلناها من كتاب (دلائل الإمامة) لتعدد طرق روايتها وزيادتها على ما في الاحتجاج وكشف الغمة.

(الخطبة الأولى)

روى أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري في دلائل الإمامة ص٣٠ النجف بأسانيده المتعددة: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام من فدك وصرف عاملها عنها لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ أذيالها ما تخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار فنيطت دونها ملاءة فأنّت أنة أجهش لها القوم بالبكاء ثم أمهلت حتى إذا هدأت فورتهم وسكنت روعتهم افتتحت الكلام فقالت:

أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطَّوْل الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء على ما قدم من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن المجاراة أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، استدعى الشكور بأفضالها، واستحمد الخلائق بأجزالها، وأمر بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع عن الأبصار رؤيته، وعن الألسن صفته، وعن الأوهام الإحاطة به.

ابتدع الأشياء لا عن شيء كان قبله، وأنشأها بلا احتذاء مثله وضعها لغير فائدة زادته إظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لأهل دعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يبتعثه، وسماه قبل أن يستنجبه، إذ الخلائق في الغيب مكنونة، وبسد الأوهام مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله في غامض الأمور وإحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بموقع المقدور، ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه، فرأى الأمم فِرَقاً في أديانها عُكَّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد ظُلَمها، وفرَّج عن القلوب شُبَهها، وجلَا عن الأبصار غُمَمها وعن الأنفس عَمَهها[1].

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة ورحمة واختيار، ورغبة لمحمد عن تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك

---

(١) العمه: التحير.

الجبار، أمينه على الوحي، وصفيَّه ورضيَّه، وخيرته من خلقه ونجيَّه، فعليه الصلاة والسلام ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المسجد فقالت للمهاجرين والأنصار:

وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم الله فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله بينة بصائره وآيه منكشفة سرائره وبرهانه، متجلية ظواهره، مديم للبرية استماعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍ إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومواعظه المكررة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وأحكامه الكافية، وبيناته الجالية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، ورحمته المرجوة، وشرائعه المكتوبة.

ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر، والزكاة تزييداً في الرزق، والصيام إثباتاً للإخلاص والحج تشييداً للدين، والعدل تسكيناً للقلوب وتمكيناً للدين وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا لمّاً للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على الاستجابة، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين، والبّر بالوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد وزيادة في العمر، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالعهود تعرُّضاً للمغفرة، ووفاء

المكيال والميزان تغييراً للبخس والتطفيف واجتناب قذف المحصنة حجاباً عن اللعنة، والتناهي عن شرب الخمور تنزيهاً عن الرجس، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة، وأكل مال اليتيم والاستئثار به إجارة من الظلم، والنهي عن الزنا تحصناً من المقت، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية، وترك الجور في الحكم إثباتاً للوعيد، والنهي عن الشرك إخلاصاً له تعالى بالربوبية.

فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون، ولا تتولوا مدبرين وأطيعوه في ما أمركم ونهاكم فإنما يخشى الله من عباده العلماء، فاحمدوا الله الذي بنوره وعظمته ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه وورثة أنبيائه.

ثم قالت عليها السلام:

أنا فاطمة وأبي محمد أقولها عوداً على بدء، وما أقولها إذ أقول سرفاً ولا شططاً، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، إن تعزوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، بلغ النذارة صادعاً بالرسالة، ناكباً عن سنن المشركين، ضارباً لأثباجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذ الأصنام وينكت الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى تفرى

الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفهتم بكلمة الإخلاص (مع النفر البيض الخماص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)[1] وكنتم على شفا حفرة من النار تعبدون الأصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الرنق، وتقتاتون القد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم (بأبي) ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعدما مني بهم الرجال وذؤبان العرب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، وكلما نجم قرن الضلالة، أو فغرت فاغرة للمشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بحده مكدوداً في ذات الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، وأنتم في بلهنية آمنون وادعون فرحون، تتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال على الأعقاب حتى أقام الله بمحمد ﷺ عمود الدين.

ولما اختار له الله عز وجل دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، وأخلق ثوبه، ونحل عظمه، وأودت رمته، وظهر نابغ ونبغ خامل، ونطق كاظم وهدر فنيق الباطل، يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه

---

(١) ما بين القوسين من كشف الغمة والاحتجاج.

من مغرزه صارخاً بكم، (فوجدكم لدعائه مستجيبين، وللغرة ملاحظين واستنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فوجدكم غضاباً فوسمتم)[١] غير إبلكم، وأوردتموهم غير شربكم، بداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، فهيهات منكم وأين بكم وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره لائحة، وأوامره لامحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بينة، وقد خالفتموه رغبة عنه، فبئس للظالمين بدلاً، (ثم لم تبرحوا) إلّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، تسرون حسواً في ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى.

(ثم أنتم تزعمون)[٢] أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

إيهاً معشر المسلمين أأُبتز إرث أبي يابن أبي قحافة أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، جرأة منكم على قطيعة الرحم ونكث العهد، فعلى عمد تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وفي ما اقتص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: «ربّ هب لي من لدنك

---

(١) ما بين القوسين من كشف الغمة.

(٢) هذا والجملة السابقة من كشف الغمة.

ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا». وقال عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ وقال تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

وزعمتم أن لا حظ لي ولا إرث من أبي أفخصكم الله بآية أخر أبي منها! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به فدونكموها مرحولة مزمومة، تلقاكم يوم حشركم، فنعم حكم الله، ونعم الخصم محمد ﷺ، والموعد القيامة، وعما قليل تؤفكون وعند الساعة ما تخسرون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم التفتت إلى قبر أبيها وتمثلت بأبيات صفية بنت عبد المطلب[1]:

---

(١) في الطرائف لابن طاووس ص٧٥، أنها تمثلت بقول صفية بنت أثاثة وسماها ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٤، ص٧٩ والإربلي في كشف الغمة: ص١٤٦ هند بنت أثاثة وفي ج٢، ص١٧ من شرح النهج لابن أبي الحديد قال: لما تخلف علي عن البيعة واشتد أبو بكر وعمر خرجت أم مسطح بن أثاثة ووقفت على قبر النبي ﷺ ونادت يا رسول الله:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وقد اختلفوا في عد الأبيات ففي الشافي ص٢٣١ وشرح النهج الحديدي أنها ثلاثة وفي الطرائف أربعة وفي بلاغات النساء بيتان وفي أمالي الشيخ=

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واجتث أهلك مذ غيبت واغتصبوا
أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لما نأيت وحالت بيننا الكثب
تهجمتنا رجال واستخف بنا ... دهر فقد أدركوا منا الذي طلبوا
قد كنت للخلق نوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغاب عنا فكلّ الخير محتجب

(فكثر البكاء من الحاضرين).

جواب أبي بكر لها

فقال أبو بكر: صدقت يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وكان والله إذا نسبناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال، آثره على كلّ حميم وساعده على الأمر العظيم، وأنتم عترة نبي الله الطيبون، وخيرته المنتجبون، على طريق الجنة أدلتنا، وأبواب الخير لسالكينا، فأما ما سألت فلك ما جعله أبوك، وأنا مصدق قولك، لا أظلم حقك، وأما ما ذكرت من الميراث فإن رسول الله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

= المفيد: ص٢٥ واحتجاج الطبرسي ثمانية وفي اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء: ص٣٥٦، أربعة عشر وفي مناقب ابن شهرآشوب: ج١، ص٣٨٢ ستة كما أنهم اختلفوا في كيفية روايتها.

ردها على أبي بكر

فقالت صلوات الله عليها: يا سبحان الله ما كان رسول الله لكتاب الله مخالفاً ولا عن حكمه صادفاً فلقد كان يلتقط أثره، ويقتفي سيره أفتجمعون إلى الظلامة الشنعاء، والغلبة الدهياء، اعتلالاً بالكذب على رسول الله ﷺ وإضافة الحيف إليه، ولا عجب أن كان ذلك منكم، وفي حياته ما بغيتم له الغوائل، وترقبتم به الدوائر، هذا كتاب الله حكم عدل، وقائل فصل، عن بعض أنبيائه إذ قال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وفصل في بريته الميراث مما فرض من حظ الذكور والإناث فلم سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قد زعمت أن النبوة لا تورث وإنما يورث ما دونها فما لي أُمنع إرث أبي أأنزل الله في كتابه إلا فاطمة بنت محمد ﷺ فدلني عليه أقنع به.

جواب أبي بكر

فقال أبو بكر لها: يا بنت رسول الله أنت عين الحجة ومنطق الحكمة لا أُدلي بجوابك، ولا أدفعك عن صوابك، لكن المسلمين بيني وبينك هم قلدوني ما تقلدت، وآتوني ما أخذت وما تركت.

ردها عليه

فقالت عليها السلام: أتجتمعون إلى المقيل الباطل والفعل الخاسر لبئس

ما اعتاض المسلمون، وما يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين، أما والله لتجدن محملها ثقيلاً وعيشها وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء فحينئذٍ لات حين مناص، وبدا لكم من الله ما كنتم تحذرون.

مع الأنصار

ثم التفتت إلى الأنصار وقالت: معشر النقيبة، وحضنة الإسلام ما هذه الغميزة في حقي، والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، أتقولون: مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخطب جليل استوسع وهنه، واستهتر فتقه[1] وفُقد راتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، واكتأب خيرة الله لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة بموت (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً ولقبل ما خلت به أنبياء الله ورسله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

أبني قيلة أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تلبسكم الدعوة ويشملكم الجبن، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والخيرة، وأنتم أنجبته التي امتحن، ونحلته التي انتحل، وخيرته

---

(١) استهتر: اتسع.

التي انتخبت لنا أهل البيت، فنابذتم فينا العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح وتبرحون ونأمركم فتأتمرون، حتى دارت بنا وبكم رحى الإسلام، ودرّ حلب البلاد، وخضعت بغوة الشرك، وهدأت روعة الهرج، وبلغت نار الحرب، واستوسق نظام الدين، فأنى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام عن قوم نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا لا أرى والله إلّا أن أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فمججتم الذي استرعيتم (ولفظتم الذي سوغتم) فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلّا الله جاءتهم رسلهم بالبيّنات فردوا أيديهم إلى أفواههم وقالوا: إنّا كفرنا بما أرسلتم به وإنّا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب.

ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثة الصدر، ومعذرة الحجة، فدونكم فاحتقبوها دبرة الظهر (ناقبة الخف) باقية العار موسومة بشنار الأبد موصولة بنار الله المؤصدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنّا عاملون، وانتظروا إنّا منتظرون، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار. ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ

وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

ولما انصرفت من المجلس تبعها رافع بن رفاعة الزرقي وقال لها: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن عليه السلام تكلم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد ما عدلنا به أحداً[1].

فقالت صلوات الله عليها: إليك عني فما جعل الله لأحد بعد غدير خم من حجة ولا عذر.

ولم يُرَ ذلك اليوم أكثر باكٍ ولا باكية وارتجت المدينة وهاج الناس وارتفعت الأصوات.

فقال أبو بكر لعمر: تربت يداك ما كان عليك لو تركتني فربما فات الخرق ألم يكن ذلك بنا أحق؟ فقال عمر: قد كان في ذلك تضعيف سلطانك وتوهين كافتك وما أشفقت إلّا عليك فقال له: ويلك كيف بابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد علم الناس ما تدعو إليه وما

---

(١) عجيب من هذا الأحمق أن يتغافل عن قيام أمير المؤمنين بالدعوة وتعريفهم أحقيته بالأمر فإن خطبته الطويلة المعروفة بالوسيلة المذكورة في روضة الكافي ملحقة بتحف العقول ص١٣٩ وفي هامش مرآة العقول: ج٤، ص٢٥٣ وفي الوافي: ج٤، ص٤ في أول الروضة قالها في المسجد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبعة أيام وفيها التذكير بيوم الغدير وظلم المتوثبين على هذا الأمر.

نجنّ من الغدر عليه قال عمر: هل هي إلا غمرة انجلت وساعة انقضت وكأن ما قد كان لم يكن أقم الصلاة وآتِ الزكاة وأُمر بالمعروف ووفر الفيء، إن الحسنات يذهبن السيئات يمحو الله ما يشاء ذنب واحد في حسنات كثيرة قلدني ما يكون من ذلك فضرب أبو بكر بيده على كتف عمر وقال: رب كربة فرجتها.

تعريض أبي بكر بعلي عليه السلام

ثم إن أبا بكر نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة لئن كانت هذه الأماني على عهد رسول الله فمن سمع فليقل ومن شهد فليتكلم كلابل هو ثعالة شهيدة ذنبه لعنه الله وقد لعنه رسوله مرات بكل أمنية يقول كروهاً جذعة ابتغاء الفتنة من بعدما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغي ألا إني لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت إني ساكت ما تركت وقد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا[1] ومع ذلك فاغدوا على أعطياتكم[2].

---

(١) شرح النهج الحديدي: ج٤، ص٨٠.

(٢) الزيادة من دلائل الإمامة ص٤٠ ط. الأعلمي.

جواب أم سلمة له

فقالت له أم سلمة: ألمثل فاطمة يقال هذا وهي الحوراء بين الإنس والأُنس للنفس ربيت في حجور أمهات الأنبياء وتداولتها أيدي الملائكة ونمت في المغارس الطاهرات، نشأت خير منشأ وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرم عليها ميراثه ولم يعلمها وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أفأنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان وأم سادة الشبان وعديلة مريم ابنة عمران وحليلة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربه فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر فيوسدها يمينه ويدثرها بشماله رويداً فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى لأعينكم وعلى الله تردونُ فواهاً لكم وسوف تعلمون أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى وقوله: إني تارك فيكم الثقلين ما أسرع ما أحدثتم وأعجل ما نكثتم.

فحرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة[1].

الزهراء مع أمير المؤمنين عليه السلام

ولما رجعت فاطمة عليها السلام إلى المنزل وكان أمير المؤمنين عليه السلام يتوقع رجوعها إليه فقالت له: يابن أبي طالب اشتملت مشيمة

---

(١) دلائل الإمامة لابن جرير: ص٤٠. ط. الأعلمي.

الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نحلة أبي وبليغة ابنيَّ والله لقد جدّ في ظلامتي وألد في خصامي حتى منعتني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع خرجت والله كاظمة وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت حدك، افترشت التراب، وافترست الذئاب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت طائلاً، ليتني مت قبل منيتي، ودوني ذلتي، عذيري الله منك عادياً ولي حامياً ويلاي في كلّ شارق، مات العمد ووهن العضد، شكواي إلى ربي وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد قوة وحولاً وأحد بأساً وتنكيلاً.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك بل الويل لشانئك نهنهي عن وجدك يابنة الصفوة وبقية النبوة فوالله ما ونيت عن ديني ولا أخطأت مقدوري فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون وما أُعدّ لك خير ممّا قطع عنك فاحتسبي الله فقالت عليها السلام: حسبي الله ونعم الوكيل[1].

فدك عند الخلفاء

قال ياقوت في معجم البلدان ج٤ ص٣٤٢: فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة وفي المعجم مما

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج١، ص٤٧٤ طـ. الأعلمي.

استعجم ج٣، ص١٠١٥: بينها وبين خيبر يومان ويقال لحصنها الشمروخ وأكثر أهلها أشجع وقد تقدم أن غلتها كانت تساوي أربعة وعشرين ألف دينار أو سبعين ألف دينار وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٤، ص٨ لما ولي معاوية بن أبي سفيان قسم فدكاً أثلاثاً ثلث لمروان بن الحكم وثلث لعمرو بن عثمان بن عفان وثلث ليزيد بن معاوية ولم تزل يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لابنه عبد العزيز ووهبها عبد العزيز لابنه عمر، فلما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ردها على ولد فاطمة عليها السلام فبقيت عندهم مدة خلافته ولما ولي يزيد بن عبد الملك قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان إلى أن انتقلت الخلافة منهم، فلما ولي السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما ولي المنصور وحدث بينه وبين بني الحسن قبضها منهم ثم ردها المهدي على ولد فاطمة عليها السلام ثم استرجعها موسى الهادي وهارون الرشيد فبقيت في أيديهم إلى أن تخلف المأمون فردها على الفاطميين وذلك أنه جلس للمظالم فأول رقعة تناولها ونظر فيها بكى وقال للذي على رأسه: نادي أين وكيل فاطمة فقام شيخ عليه عمامة ودراعة وخفّ ثغري فتقدم وجعل يناظره في فدك والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون ثم أمر أن يسجل لهم بها فكتب السجل وقرئ عليه فقام دعبل الخزاعي وأنشده الأبيات التي يقول فيها:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمون هاشم فدكا

فلم تزل في أيديهم حتى تخلف المتوكل فاسترجعها وأقطعها عبد الله البازيار وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ﷺ بيده فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها فإذا قدم الحاج أهدوا لهم من ذلك الثمر فيصلونهم فيصير من ذلك مال جزيل فوجه عبد الله البازيار بشران بن أبي أمية الثقفي يصرم ذلك النخيل وعاد إلى البصرة ففلج ومات، وذكر البلاذري في فتوح البلدان ص٤٠ كتاب المأمون إلى عامله المبارك الطبري برد فدك على ولد فاطمة وتسليمها لمحمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ولمحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام على ما فيها من العمارة ووفور الغلات.

بكاؤها على أبيها

لم تزل الصديقة الحوراء بعد أبيها ناحلة الجسم منهدة الركن باكية العين محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة من البكاء على أبيها وكانت تجلس الحسن والحسين عليهما السلام بين يديها وتقول: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد أُخرى؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً[1]؟

---

(١) روضة الواعظين للفتال: ص١٣٠، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٦.

وداخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وأمير المؤمنين يكتب ذلك[١].

وسألت أمير المؤمنين عليه السلام عن قميص أبيها الذي غسله فيه فلما رأته وشمته غشي عليها من البكاء فغيبه عنها[٢]، وفي بعض الأيام سألت بلالاً[٣] أن يؤذن وقد انقطع عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قال الله أكبر ذكرت أباها وأيامه فلم تتمالك عن البكاء ولما قال: أشهد أن محمداً رسول الله سقطت لوجهها مغشياً عليها فقطع بلال الأذان ولم يتمه[٤].

وفي اليوم الثامن من وفاة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم خرجت زائرة قبره المطهر فلما وقع بصرها على القبر قالت: وا أبتاه وا محمداه وا أبا القاسماه وا ربيع الأرامل واليتامى من للقبلة والمصلى ومن لابنتك الوالهة الثكلى بقيت بعدك وحيدة وحيرانة فريدة قد انخمد صوتي وانقطع ظهري وتنغص عيشي، لا أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي ولا رادّاً لدمعتي ولا معيناً لضعفي قد فني بعدك محكم

---

(١) اصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج١، ص٣٨٢.

(٢) الكافي.

(٣) كتبنا في هامش بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص٢٠٥، طبع النجف ترجمة مفصلة لبلال الحبشي لاحظها.

(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ص٦١.

التنزيل ومهبط جبرئيل ومحل ميكائيل انقلبت بعدك الأسباب وتغلقت دوني الأبواب فأنا للدنيا بعدك قالية وعليك ما ترددت أنفاسي باكية لا ينفد شوقي إليك ولا حزني عليك، يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين وأصبحت الناس عنا معرضين[١].

ولم تبرح عن البكاء والشكوى مما نالها من الظلم والعدوان فتأذى شيوخ المدينة لذلك وسألوا أمير المؤمنين أن يهدئها عن البكاء فلها إما الليل أو النهار[٢]، ولما ذاكرها أمير المؤمنين قالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم فلا أسكت عن البكاء على أبي لا في الليل ولا في النهار فلم يمنعها عن ذلك ولكن بنى بيتاً في البقيع سماه (بيت الأحزان)[٣] وكان من جريد النخل[٤]، فإذا أصبحت خرجت بولدها إلى ذلك البيت فلا تزال فيه إلى الليل فيأتي إليها أمير المؤمنين عليه السلام ويرجعها إلى المنزل[٥].

---

(١) البحار: ج١، ص٥٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٨٧.

(٣) في تاريخ المدينة للسمهودي: ج٢، ص٩٥، أن الغزالي ذكر استحباب الصلاة في مسجد فاطمة عليها السلام بالبقيع وقال غيره: إنه المعروف ببيت الحزن لأن فاطمة عليها السلام أقامت فيه أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وآله.

(٤) كتاب المختار من نوادر الأخبار لمحمد بن أحمد المقري الأنباري بهامش مفيد العلوم لأبي بكر الخوارزمي: ص١٩١، مصر.

(٥) البحار: ج١٠، ص٥١.

وحكي عن العلامة السيد باقر ابن آية الله الحجة السيد محمد الهندي المتوفى سنة **١٣٢٩** أنه رأى في المنام صاحب الأمر عجل الله فرجه ليلة الغدير حزيناً كئيباً فقال له: يا سيدي ما لي أراك في هذا اليوم حزيناً والناس في فرح وسرور بعيد الغدير فقال عليه السلام: ذكرت أمي الزهراء وحزنها ثم قال:

لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد (بيت الأحزان) بيت سرور

ولما انتبه السيد قدس سره نظم قصيدة في أحوال الغدير وما جرى على الزهراء بعد أبيها وضمنها هذا البيت والقصيدة محفوظة مشهورة مطلعها:

كل غدر وقول إفك وزور هو فرع من جحد نص الغدير

الخطبة الثانية[١]

روى أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري بإسناده المتصل إلى أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عليهم السلام قال: لما مرضت المرضة التي توفيت فيها دخلن عليها نساء المهاجرين والأنصار عائدات لها فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالت صلوات الله عليها:

أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكن، شنأتهم بعد أن عرفتهم، ولفظتهم بعد أن سبرتهم ورميتهم بعد أن عجمتهم،

---

(١) هذه الخطبة رواها أبو الفضل بن أبي طاهر في بلاغات النساء: ص١٩ طبع النجف بإسناده عن عطية العوفي، ورواها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار ملحق بعلل الشرائع: ص١٠١ إيران بإسناده عن عبد الله المحض عن أمه فاطمة بنت الحسين الشهيد عليه السلام، ورواها ابن الشيخ الطوسي في الأمالي: ص٢٣٨، بإسناده عن ابن عباس، والإربلي في كشف الغمة: ص١٤٧، عن كتاب السقيفة للجوهري وأبو منصور الطبرسي في الاحتجاج ص٦٦، طبع النجف عن سويد بن غفلة وروايتهم لها متقاربة.

فقبحاً لفلول الحد، وخطل الرأي، وعثور الجد، وخوف الفتن، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم والله لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين بالوحي المبين، الطبن بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه شدة وطأته، ونكال وقعته، ونكير سيفه، وتبحره في كتاب الله وتنمره في ذات الله، وأيم الله لو تكافّوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتقله ثم سار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً روياً صافياً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ثم لأصدرهم بطاناً بغمرة الشارب، وشبعة الساغب، ولانفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ولكنهم بغوا فسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا فاسمعن ومن عاش أراه الدهر العجب، وإن تعجبن فانظرن إلى أي نحو اتجهوا وعلى أي سند استندوا، وبأي عروة تمسكوا، ولمن اختاروا، ولمن تركوا، لبئس المولى ولبئس العشير، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون.

ألا لعمر الله لقد لقحت فانظروها تنتج، واحتلبوا لطلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون ما أسس الأولون، فليطيبوا بعد ذلك نفساً وليطمئنوا للفتنة جأشاً وليبشروا بسيف صارم، وهرج شامل واستبدال من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا خسرى لكم، وكيف بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون[١].

فأعادت النساء قولها على رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره.

فقالت عليها السلام: إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم[٢].

عجباً من تلك الوجوه التي لا تندى حياءً وغيرة ألم يقم فيهم أبو الحسن عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسبعة أيام وخطب في المسجد تلك الخطبة الطويلة المعروفة (بالوسيلة) التي تقدمت قطعة منها وعرَّفهم فيها بالخلافة المجعولة له في حديث (المنزلة) وحديث يوم الغدير، وكذلك خطبته الأُخرى التي ألقاها في

---

(١) دلائل الإمامة: ص٤١، طبع الأعلمي.

(٢) احتجاج الطبرسي: ج١، ص١٠٩، ط. الأعلمي.

المسجد المعروفة (بالطالوتية) وقد تقدم ذكرها ونص عليهما شيخنا الكليني المتوفى سنة **٣٢٩** في روضة الكافي ص**١٣٩**.

ثم متى طال عهد يوم الغدير الذي حضره مائة وعشرون ألفاً. كما نص عليه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص**١٨** إيران حتى يحتاجون إلى تذكير أمير المؤمنين لهم بما فرضه الله عليهم من الطاعة له ولكن طبع الله على قلوبهم فهم لا يبصرون الحق بعد البيان ولقد عرفوا بيعتهم فلتة ونعم الحكم الله والموعد القيامة فهنالك يخسر المبطلون ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون.

عيادة أم سلمة لها

بقيت الصديقة عليها السلام بعد أبيها سبعة وعشرين يوماً[1] لا تستطيع القيام والخروج ثم تزايد المرض عليها من الضربة والعصرة ما بين الباب والجدار وما جرى من خالد معها فلازمت الفراش، فدخلت عليها أم سلمة عائدة لها فقالت: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟ قالت صلوات الله عليها: أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي وظلم الوصي، هتك والله حجاب من أصبحت إمامته مقتضية على غير ما شرع الله في التنزيل وسنّها

---

(١) البحار: ج١٠، ص٥١. وفيه ص٦١ عن مصباح الأنوار عن أبي جعفر الباقر أنها بقيت ستين يوماً ثم مرضت وفي رواية أُخرى أنها بقيت خمسة عشر يوماً.

النبيﷺ في التأويل ولكنها أحقاد بدرية وترات أُحديّة كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لإمكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت إلينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق، وقطع وتر الإيمان من قسيّ صدورها وليس على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين، أحرزوا عائدتهم من غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات[١].

مع ابنة طلحة

وقالت لها عائشة بنت طلحة: ما لي أراك باكية؟ فقالت لها: أسائلتي عن هنة حلَّق بها الطائر وحفي بها السائر ورفع إلى السماء أثراً ورزئت في الأرض خبراً، أن قحيف تيم وأُحيوك عديّ جاريا أبا الحسن في السباق حتى إذا أخذا بالخناق أسّرا له الشنآن وطوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين وقبض النبي الأمين نطقا بفورهما ونفثا بسورهما وأدلا بفدك فيا لها لمن ملك، تلك أنها عطية الرب الأعلى للنجي الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي وأنها بعلم الله وشهادة أمينه فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة فأحتسبها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعرة حميم في لظى جحيم[٢].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص٤٧٢، ط. الأعلمي.

(٢) أمالي الطوسي: ص٢٠٤، ح٣٥٠، ط. الأعلمي.

عيادة أبي بكر وعمر

وجاء أبو بكر وعمر عائدين لها واستأذنا عليها فأبت أن تأذن لهما، فحلف أبو بكر أن لا يظله سقف حتى يدخل عليها ويترضاها وبات ليلة في البقيع لم يظله شيء فجاء عمر إلى أمير المؤمنين وقال له: إن أبا بكر شيخ رقيق القلب وله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحبة في الغار وأتينا فاطمة غير مرة نريد الإذن عليها فأبت فإن رأيت أن تستأذن منها فأجابه عليه السلام ودخل على فاطمة، فعرَّفها بما يريد الرجلان فأبت أن تأذن لهما فقال عليه السلام: إني ضمنت لهما فقالت: البيت بيتك، والنساء تبع للرجال لا أُخالف عليك شيئاً فأدخلهما عليها.

ولما وقع بصرهما عليها سلما فلم ترد عليهما السلام.

فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله إنما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك، نسألك أن تغفري لنا، وتصفحي عما كان منا إليك قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى أبي وأشكوكما إليه وأشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني، قال: إنا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنا ولا تؤاخذينا بما كان منا.

فالتفتت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: إني لا أكلمهما كلمة حتى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن صدقاني

رأيت رأيي فقالا: سلي إنّا لا نقول إلا الحق، فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي.

قالا: اللهم نعم، فقالت: اللهم إني أُشهدك أنهما آذياني، والله لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى ربي وأشكوكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني.

فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أمي لم تلدني فقال له عمر: عجيب للناس كيف ولوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها[1]، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة فقالت عليها السلام والله لأدعونّ الله عليك عند كل صلاة أُصليها[2].

العباس عائد لها

وجاء إليها العباس بن عبد المطلب عائداً فقيل له إنها ثقيلة وليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره وأرسل إلى أمير

---

(١) علل الشرائع للصدوق: ج١، باب ١٤٩، ص٢١٩، ح٢، ط. الأعلمي.
(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١، ص١٤.

المؤمنين عليه السلام يقول له: لقد فجأني من الغم بشكاة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هدّني وإني أظنها أولنا لحوقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان ما لا بدّ منه فإني أجمع لك المهاجرين والأنصار ليصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها وفيه جمال للدين.

فأرسل إليه أمير المؤمنين: لا عدمت إشفاقك ومشورتك وفضل رأيك غير أن فاطمة عليها السلام لم تزل مظلومة مدفوعة عن حقها لم تحفظ فيها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا روعي فيها حقه ولا حق الله عز وجل وكفى بالله حاكماً ومن الظالمين منتقماً.

وإنا أسألك يا عم أن تسمح لي بترك ما أشرت به فإنها أوصتني بستر أمرها.

فلما أخبر الرسول العباس بذلك قال: يغفر الله لابن أخي وإنه لمغفور له، إن رأي ابن أخي لا يطعن فيه فإنه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركة من علي إلّا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إن علياً لم يزل أسبقهم إلى كل مكرمة وأعلمهم بكل قضية وأشجعهم في الكريهة وأشدهم جهاداً للأعداء في نصر الحنيفية وأول من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

الوصية

لقد جاء في التاريخ الصحيح أن مخيرقاً اليهودي كان من

---

(١) أمالي الطوسي: ص١٥٥، ح.٢٥٨ ط الأعلمي.

أحبار يهود بني النضير وهو الذي يقول فيه النبيﷺ: مخيرق سابق اليهود وسلمان سابق فارس وبلال سابق الحبشة استشهد في أُحد[١] وأوصى ببساتينه السبعة إلى النبيﷺ وهي: الدلال، وبرقة، والصافية، والمثيب، ومشربة أم إبراهيم، والأعواف وحسنى[٢] فأوقفها النبيﷺ سنة سبع من الهجرة[٣] وفي حديث كعب أوقفها على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة على خصوص فاطمةعليها السلام وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجه.

وعند وفاة الصديقة أوصت بهذه البساتين وكل ما كان لها من المال إلى أمير المؤمنين عليعليه السلام ومن بعده فإلى الحسن ومن بعده فإلى الحسين ثم إلى الأكبر من ولد رسول اللهﷺ وأشهدت على الوصية المقداد بن الأسود والزبير بن العوام[٤].

وأوصت لأزواج النبيﷺ لكل واحدة منهن اثنتا عشرة أوقية ولنساء بني هاشم مثل ذلك ولأمامة بنت أبي العاص بشيء[٥]

---

(١) تاريخ المدينة للسمهودي: ج٢، ص١٥٢.
(٢) تاريخ المدينة للسمهودى: ج٢، ص١٥٢، ووافقه ابن جرير الطبري في دلائل الإمامة: ص٤٢، إلا في أسماء بعضها.
(٣) تاريخ المدينة: ج٢، ص١٥٣.
(٤) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ص٤١٨.
(٥) دلائل الإمامة: ص٤٢.

وأوصت لأم كلثوم إذا بلغت ما في المنزل[١] ثم أوصت أمير المؤمنين أن يتخذ لها نعشاً رأت الملائكة صوروا صورته ووصفته له وأن لا يشهد أحد جنازتها ممن ظلمها ولا أن يصلوا عليها، وأن يتزوج بأمامة ابنة أختها زينب لتقوم بخدمة ولدها[٢].

وما يوجد في بعض الكتب من الوصية بأن يجعل لها يوماً وليلة وللحسنين يوماً وليلة لا تثق النفس به فإن سيدة نساء العالمين لم تجهل ما امتزجت به نفس أمير المؤمنين من العطف والحنان على إمامين أودع الله فيهما أسرار الوحي المبين وقيضهما لهداية الأمة وعلى عقيلة آل محمد شريكة السبط الشهيد في الدعوة الإلهية وليس حنوّها عليهم آكد ممن يبيت طاوياً مواساة لمن في الحجاز واليمامة ممن لا عهد له بالشبع فكيف حاله إذاً مع ولديه المكونين من نور القدس المطهرين من جميع أنواع الرجس؟

ومن وصيتها له إذا أنزلها في القبر وسوّى التراب عليها يجلس عند رأسها قبالة وجهها ويكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الأحياء[٣].

---

(١) مصباح الأنوار مخطوط للشيخ هاشم بن محمد من علماء القرن السادس.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢، ص١١٧، وروضة الواعظين: ص٣٠.

(٣) مصباح الأنوار للشيخ هاشم وكشف اللثام للفاضل الهندي عند قول العلامة: يكره المقام عند القبور رواه عن الصادق عليه السلام.

وأن لا يعلم بموتها إلّا أم سلمة وأم أيمن وعبد الله بن العباس وسلمان والمقداد وأبا ذر وعماراً وحذيفة[١].

في أيام العلة

وفي بعض هذه الأيام رأت في المنام أباها رسول الله ﷺ فشكت إليه ما نالها من بعده فقال لها: إنك قادمة عليّ عن قريب[٢]، ورأت في المنام مرة أُخرى كأن ملائكة كثيرة هبطوا من السماء صفوفاً يقدمهم ملكان فرفعوها إلى السماء وإذا بقصور مشيدة وبساتين وأنهار وخرجت من تلك القصور جوارٍ يضحكن ويقلن: مرحباً بمن خلقت الجنة لها وخلقنا من أجل أبيها، ثم لم تزل الملائكة تصعد بها حتى أدخلوها داراً فيها قصور كثيرة وفي القصور بيوت لا تُعد وفيها من السندس والإستبرق على الأسرّة شيء كثير غير أواني الذهب والفضة فيها ألوان الطعام، ورأت أنهاراً أشد بياضاً من اللبن وأطيب رائحة من المسك فقالت: لمن هذه الدار وما هذه الأنهار؟ فقيل لها: أما الدار فهي الفردوس الأعلى ليس بعده جنة وهي دار أبيك ومن معه من النبيين ومن أحب الله، وهذا نهر الكوثر الذي وعد الله أباك أن يعطيه إياه.

فقالت أين أبي؟ قالوا لها: الساعة يدخل عليك فبينا هي

---

(١) دلائل الإمامة: ص٤٥، ط. الأعلمي.

(٢) مصباح الأنوار.

كذلك إذ ظهرت لها قصور أعلى من تلك القصور وفرش أحسن مما رأته وإذا أبوها جالس على تلك الفرش ومعه جماعة فأخذها وضمها إليه وقبّل ما بين عينيها وقال لها: يا بنية أما ترين ما أعد الله لك وما تقدمين عليه ثم أراها قصوراً مشرفات فيها ألوان الطرائف والحلي والحلل وقال: هذا مسكنك ومسكن زوجك وولديك ومن أحبك وأحبهما فطيبي نفساً فإنك قادمة عليّ بعد أيام فانتبهت فرحة وقصت الرؤيا على أمير المؤمنين عليه السلام[١].

وما زالت تقول في أيام مرضها: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثني، اللهم زحزحني عن النار وأدخلني الجنة وألحقني بأبي محمد فإذا قال لها أمير المؤمنين: عافاك الله وأبقاك تقول له: يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق برسول الله[٢].

وفي الليلة التي أراد الله أن يكرمها باللحوق بأبيها أتاها جبرئيل ومعه الملائكة فسلّم عليها فأخبرت أمير المؤمنين بذلك ثم بعد هنيئة سمعها تقول: وعليكم السلام يا رسل ربي فسألها أمير المؤمنين عمن سلم عليها فأخبرته بأن ميكائيل سلّم عليها وهو يقول: إن الله تعالى يقرؤك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده اليوم تلحقين بالرفيع الأعلى وجنة المأوى[٣].

---

(١) دلائل الإمامة: ص٤٤، ط. الأعلمي.

(٢) مصباح الأنوار عن الباقر عليه السلام.

(٣) دلائل الإمامة: ص٤٥، ط. الأعلمي.

يوم الوفاة

قالت أم سلمة زوجة أبي رافع: كنت أُمرض فاطمة أيام شكاتها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها فقالت لي: يا أماه اسكبي لي غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت لي: يا أماه أعطيني ثيابي الجدد فلبستها وأمرتني أن أُقدم فراشها وسط البيت ففعلت فنامت عليه مستقبلة القبلة وقالت: يا أماه إني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد[١].

تقول أسماء بنت عميس: لما دخلت فاطمة البيت انتظرتها هنيئة ثم ناديتها فلم تجب فناديت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطئ الحصا، يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى فلم تجب فدخلت البيت وكشفت الرداء عنها فإذا بها قد قضت نحبها شهيدة[٢] صابرة مظلومة محتسبة ما بين المغرب والعشاء[٣] فوقعت عليها أُقبّلها وأقول: يا فاطمة إذا قدمت على أبيك ﷺ فأقرئيه مني السلام فبينا هي كذلك وإذا بالحسن والحسين دخلا الدار وعرفا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٤٦١.

(٢) روى الكليني في أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج١، ص٣٨٢، أن فاطمة كانت صديقة شهيدة ورواه الطبرسي في الاحتجاج ص٥٤ مرسلاً وقال المجلسي في مرآة العقول: ج١، ص٣٨٣: إن شهادة فاطمة من المتواترات.

(٣) مصباح الأنوار.

أنها ميتة فوقع الحسن عليها يقبّلها ويقول: يا أماه كلميني قبّل أن تفارق روحي بدني والحسين يقبل رجلها ويقول: يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن ينصدع قلبي فأموت ثم خرجا إلى المسجد وأعلما أباهما بشهادة أمهما فأقبل أمير المؤمنين إلى المنزل وهو يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بك أتعزى ففيم العزاء من بعدك؟

وقال عليه السلام: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك صلى الله عليه وآله وسلم اللهم إنها قد أُوحشت فآنسها وهُجرت فصلها وظُلمت فاحكم لها يا أحكم الحاكمين[١].

وخرجت أم كلثوم متجللة برداء وهي تصيح: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده، وكثر الصراخ في المدينة على ابنة رسول الله واجتمع الناس ينتظرون خروج الجنازة فخرج إليهم أبو ذر وقال: انصرفوا إن ابنة رسول الله أخّر إخراجها هذه العشية[٢].

وأخذ أمير المؤمنين عليه السلام في غسلها وعلله الإمام الصادق عليه السلام بأنها صديقة فلا يغسلها إلا صديق كما أن مريم لم يغسلها إلا عيسى عليه السلام[٣]، وقال عليه السلام: إن علياً أفاض عليها من الماء ثلاثاً

---

(١) البحار: ج١٨، ص٢٧١، كبني في الصلاة على الميت.

(٢) روضة الواعظين: ص١٦٩، ط. الأعلمي.

(٣) علل الشرائع للصدوق: ص٢٢، باب ١٤٨.

وخمساً وجعل في الخامسة شيئاً من الكافور وكان يقول: اللهم إنها أمتك وبنت رسولك وخيرتك من خلقك، اللهم لقنها حجتها واعظم برهانها واعلِ درجتها واجمع بينها وبين محمدﷺ،[١] وحنطها من فاضل حنوط رسول الله الذي جاء به جبرئيل فقال النبيﷺ: يا علي ويا فاطمة هذا حنوط من الجنة دفعه إليّ جبرئيل وهو يقرئكما السلام ويقول لكما: اقسماه واعزلا منه لي ولكما فقالت فاطمة: ثلثه لك والباقي ينظر فيه عليعليه السلام فبكى رسول الله وضمها إليه وقال: إنك موفقة رشيدة مهدية ملهمة، يا علي قل في الباقي فقال: نصف منه لها والنصف لمن ترى يا رسول الله قال: هو لك[٢].

وكفنها في سبعة أثواب[٣] وقبل أن يعقد الرداء عليها نادى: يا أم كلثوم يا زينب يا فضة يا حسن يا حسين هلموا وتزودوا من أمكم الزهراء فهذا الفراق واللقاء في الجنة فأقبل الحسنانعليهما السلام يقولان: واحسرة لا تنطفي من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا الزهراء إذا لقيت جدنا فاقرئيه منا السلام وقولي له: إنا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: اشهد الله أنها

---

(١) البحار: ج١٨، ص٢٦٣.

(٢) الطرف لابن طاووس: ص٤١، الطرفة ٢٧.

(٣) مصباح الأنوار.

حنّت وأنّت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماء فرفعهما عنها وعقد الرداء عليها[١].

وصلى عليها ومعه الحسن والحسين وعقيل وعمار وسلمان والمقداد وأبو ذر[٢] ودفنها في بيتها[٣].

ولما وضعها في اللحد قال: بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله محمد بن عبد الله سلمتك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني ورضيت لك بما رضي الله لك، ثم قرأ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى[٤]، وفي حديث غيرنا أن أمير المؤمنين لما أنزلها في القبر وسوّاه عليها سألها الملكان من ربك قالت: الله ربي، قالا: ومن نبيك؟ قالت: أبي محمد، قالا: ومن إمامك؟ قالت: هذا القائم على قبري علي[٥].

---

(١) البحار: ج١٠، ص٥١ من حديث ورقة.

(٢) روضة الواعظين: ص١٦٩، ط. الأعلمي.

(٣) في عيون المعجزات: ص٤٧ أنها في البقيع وفي دلائل الإمامة: ص٤٦، أنها في الروضة وعند العلامة الحلي في المنتهى والشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه ص٢٢٠ الصحيح أنها في بيتها فلما زادت بنو أمية المسجد صارت فيه واستظهر هذا المجلسي في مرآة العقول: ج١، ص٣٩، وقال الصدوق: لما حججت كان رجوعي على المدينة فزرت فاطمة في بيتها.

(٤) مصباح الأنوار.

(٥) الإصابة: ج٤، ص٤٧٨، بترجمة عروة بن مسعود.

ثم إنه عليه السلام سوّى في البقيع سبعة قبور[١] أو أربعين قبراً[٢] ولما عرف الشيوخ دفنها وفي البقيع قبور جدد أشكل عليهم الأمر فقالوا: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور لنخرجها ونصلي عليها فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج مغضباً عليه قباؤه الأصفر الذي يلبسه عند الكريهة وبيده ذو الفقار وهو يقسم بالله لئن حول من القبور حجر ليضعن السيف فيهم فتلقاه عمر ومعه أصحابه فقال له ما لك والله يا أبا الحسن لننبشن قبرها ونصلي عليها.

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بمجامع ثوبه وضرب به الأرض وقال له: يابن السوداء أما حقي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده لئن حول منه حجر لأسقين الأرض من دمائكم، وجاء أبو بكر وأقسم عليه برسول الله أن يتركه فخلى عنه وتفرق الناس[٣].

بعد الدفن

لما وضع أمير المؤمنين عليه السلام الصديقة الطاهرة في لحدها وسوى التراب على القبر هاج به الحزن وأرسل دموعه على خديه.

---

(١) روضة الواعظين: ص١٦٩، ط. الأعلمي.

(٢) دلائل الإمامة: ص٤٧، ط. الأعلمي.

(٣) دلائل الإمامة: ص٤٧، ط. الأعلمي.

وأنشأ يقول:[١]

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

وقال أيضاً:[٢]

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثم حوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: السلام عليك يا رسول الله مني ومن ابنتك وحبيبتك وقرة عينيك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار لها الله سرعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيدة النساء تجلدي إلّا أن لي في التأسي بسنتك والحزن الذي حل بي لفراقك موضع التعزي فلقد وسدتك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري وغمضتك بيدي وتوليت أمرك بنفسي نعم وفي كتاب الله أنعم القبول وإنا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) روضة الواعظين: ص١٧٠ ط. الأعلمي، وكشف الغمة: ص١٤٩، ومناقب الخوارزمي: ج١، ص٨٤، والمستدرك للحاكم: ج٣، ص١٦٣، وزاد ابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص١١٨، أبيات جواب الهاتف.
(٢) حكاه الخوارزمي في المناقب: ج١، ص٤٨، عن الحاكم.

قد استرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد لا يبرح الحزن أو يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم كمد مقيح وهمّ مهيج سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو.

وستنبئك ابنتك بتظاهر أمتك عليّ وعلى هضمها حقها فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك سلام مودع لا سئمٍ ولا قالٍ فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أُقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً واللبث عنده معكوفاً ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية فبعين الله تدفن ابنتك سراً ويهتضم حقها قهراً ويمنع إرثها جهراً ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر فإلى الله المشتكى وفيك أجمل العزاء وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته[1].

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص١٦٥، وأمالي الطوسي: ح١٦٦، ص١٠٩، ط. الأعلمي. ودلائل الإمامة للطبري: ص٤٨، وكشف الغمة: ص١٥٠، واختصره في روضة الواعظين: ص١٦٩.

ماتت غضبى

كان من المقاييس المنصوبة للتمايز بين المؤمن والمنافق رضى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلخطه المنبعثان عما عند الله سبحانه منهما ولهما كمال الصلة بمرضاة الصديقة وغضبها بنص منه صلى الله عليه وآله صحيح ثابت: (من أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أغضبها فقد أغضبني) وربما ألغى صلى الله عليه وآله الواسطة فقال: إن الله تعالى يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها وسبقت لهذه الكلمات الذهبية رنة في المسامع وموقع من القلوب وهذا هو الذي أربك (الشيخين) لمّا نظرا إلى ما ارتكباه من الزهراء عليها السلام مسخطين لها فتحريا إرضاءها متوسلين في ذلك بابن عمها أمير المؤمنين عليه السلام لكن بعد أن سبق السيف العذل وندما ولات حين مندم، وما انكفآ عنها إلّا (بخفي حنين) بعد أن أتمت الحجة عليهما حين استشهدتهما الحديث فاعترفا به فأعرضت عنهما وماتت وهي واجدة عليهما.

كما رواه البخاري في باب غزوة خيبر: ج٣، ص٤٦، وفي باب فرض الخمس: ج٢، ص١٦٢، ورواه مسلم في صحيحه: ج٢، ص٧٢، وأحمد في المسند: ج١، ص٦ و٩ والطبري في التاريخ: ج٣، ص٢٠٢، والطحاوي في مشكل الآثار: ج١، ص٤٨، والبيهقي في السنن: ج٦، ص٣٠٠، والكنجي في كفاية الطالب: ص٢٢٦، وابن كثير في البداية: ج٥، ص٢٨٥، وقال

في ج٦، ص٣٣٦: لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها إلى كثيرين ذكرهم حجة الإسلام المدقق الشيخ ميرزا عبد الحسين الأميني في كتاب (الغدير): ج٧، ص٢٢٧:

ولأي الأمور تدفن ليلاً بضعة المصطفى ويُعفى ثراها
ومضت وهي أعظم الناس وجداً في فم الدهر غصة من جواها
وثوت لا يرى لها الناس مثوى أي قدس يضمه مثواها

حديث الغسل قبل الوفاة

لا خلاف بين المسلمين أن الإنسان بعد موته لا بدّ من أن يغسل إلّا فاطمة الزهراء عليها السلام فإن الأحاديث دلت على أنها تطهرت قبل الوفاة ولبست ثياباً جدداً وقالت لأم سلمى زوجة أبي رافع: إني مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد رواه أحمد في المسند: ج٦، ص٤٦١، وابن حجر في الإصابة بترجمتها وأبو نعيم في حلية الأولياء: ج٢، ص٤٣، ورواه شارح همزية البوصيري بهامش شرح الشمائل الترمذية: ج٢، ص١٢٥، عن المناقب لأحمد ونص عليه الخفاجي في شرح الشفا وزاد السيوطي في اللآلي المصنوعة ج٢، ص٢٢٨، في الحديث أن أم سلمى حكت لعلي عليه السلام ما قالته فاطمة عليها السلام فقال عليه السلام: لا والله لا يكشفها أحد ويدفنها وبغسلها، ثم ذكر إنكار ابن الجوزي مشروعية الغسل للموت قبله وأجاب عنه بأن ذلك من خصائصها

كما خص أخوها إبراهيم بترك الصلاة عليه وحكى هذا الغسل المحدث النوري في نوادر الغسل من المستدرك: ج١، ص١٠٤، عن أمالي ابن الشيخ الطوسي.

ثم إن الإربلي في كشف الغمة ص١٥٠، بعد أن روى حديث أحمد بن حنبل وأن الدولابي أيضاً روى حديث الغسل الذي اغتسلته قبل الوفاة ودفنت به قال: وقد اتفق عليه الخاصة والعامة مع كون الحكم على خلاف ما ورد من تشريع الغسل فإن الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلّا بعد الغسل إلّا في مواضع ليس هذا منها فكيف رويا هذا الحديث ولم يعللاه ولا ذكرا فقهه؟ ثم قال: ولعل هذا يخصها عليها السلام ووافقه المحدث النوري على كونه من خصائصها وما ورد في بعض الروايات من أن علياً عليه السلام غسلها بعد الوفاة لا ينافي كون الغسلين من خصائصها كما اعترف به بعضهم.

وروى السيد هاشم البحراني في معالم الزلفى ص٩٠ أن فاطمة عليها السلام لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس: إذا أنا مت فانظري في الدار فإذا رأيت سجفاً من سندس من الجنة قد ضرب فسطاطاً في جانب الدار فاجعليني من وراء السجف وخليني وبين نفسي قالت أسماء: فلما توفيت وظهر السجف حملتها ووضعتها وراءه فغسلت وكفنت وحنطت بالحنوط وكان كافوراً أنزله جبرئيل من الجنة في ثلاث صرر وقال: يا رسول الله

إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: هذا حنوطك وحنوط ابنتك وحنوط أخيك علي مقسوم أثلاثاً وكانت أكفانها وماؤها وأوانيها من الجنة وإنها أكرم على الله من أن يتولى ذلك منها أحد غيرها.

وبعد أن ورد أن حديث أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلّا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان لا يرمي بالإعراض أمثال هذه الأحاديث مما لا تصل إليه الأفكار بعد أن لم يكن من المستحيلات العقلية وإلّا فقد ورد أن فاطمة بنت أسد كبّر عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين وكبر على حمزة سبعين مع أن التكبير على الميت خمس كما أن أمير المؤمنين عليه السلام أوصى الحسن أن يكبّر عليه سبعاً وأخبره أنه لا يصح ذلك إلا للمهدي من ولد الحسين عليه السلام فما لم تنكشف فيه الحقيقة يرجع علمه إليهم عليهم السلام.

تاريخ الشهادة

اختلف في وفاة الصديقة على أقوال:

الأول: أنها بقيت بعد أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وهو المختار لأنه المشهور بين المؤرخين وبه جاءت الرواية عن الصادق عليه السلام كما في الكافي للكليني والاختصاص للشيخ المفيد ومعالم الزلفى للسيد هاشم البحراني: ص١٣٣.

الثاني: بقيت أربعين يوماً ذكره في مروج الذهب: ج١، ص٤٠٣ وروضة الواعظين: ص١٣٠، وكتاب سليم: ص٢٠٣، ونسبه إلى الرواية في كشف الغمة: ص١٤٩ وفي تاريخ القرماني هو الأصح.

الثالث: توفيت لثلاث خلون من جمادى الآخرة ذكره الكفعمي في المصباح والشيخ الطوسي في مصباح المتهجد: ص٥٥٤، والسيد ابن طاووس في الإقبال ورواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام كما في البحار: ج١٠، ص١ وإليه يرجع ما في مقاتل الطالبيين: ص١٩، من أن الثلاثة أشهر هو الثابت من رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام.

الرابع: العشرون من جمادى الآخرة ذكره في دلائل الإمامة: ص٤٦.

الخامس: اثنان وسبعون ذكره ابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص١١٢.

السادس: مائة يوم ذكره ابن قتيبة في المعارف: ص٦٢.

السابع: ستون يوماً رواه الشيخ هاشم في مصباح الأنوار عن أبي جعفر عليه السلام.

الثامن: ستة أشهر ذكره ابن حجر في الإصابة بترجمة فاطمة

وذكر فيها حديث الأربعة أشهر والثمانية أشهر.

التاسع: خمسة وتسعون يوماً نقله في البحار: ج١٠، ص٥٢، والإصابة لابن حجر عن الدولابي في كتاب الذرية الطاهرة.

العاشر: ثلاث خلون من شهر رمضان ذكره في نور الأبصار: ص٤٢، ومناقب الخوارزمي: ج١، ص٨٣، والإصابة لابن حجر: ج٤، ص٣٨٠.

المراثي

لقد عرفت أن أول من رثاها أمير المؤمنين عليه السلام ثم أكثر الشعراء قديماً وحديثاً في وصف تلك الحالة التي شاهدتها الصديقة بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وما جرى من الظلم والتعدي على حقوقها ومن هؤلاء القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج٢، ص٣١٧، وقال: كان كثير النوادر له أخبار ظريفة حسن الحاضرة سريع الجواب ومن شعره:

لي حيلة في من ينمّ وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

وكانت وفاته يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٧ عن خمس وستين سنة وقال علي بن عيسى الإربلي في كشف الغمة: ص١٥١، أنشدني بعض الأصحاب للقاضي أبي بكر بن قريعة رحمه الله أبياتاً وهذه الأبيات صدرها الخطيب المصقع والشاعر

المفلق الشيخ قاسم الملا الحلي وإليك الأصل والتصدير:

الشيخ قاسم[١]:

ما مقلتي هتنت ذروفه ... في حب غانية ظريفه
هيفاء من خمر اللمى ... ثملت معاطفها النزيفه
كلا ولا فتكت بنا ... أسياف لحظيها الرهيفه
كلا ولا طير الفؤاد ... أدام من شغفٍ رفيفه
لكن أذاب حشاشتي ... رزء المطهرة العفيفه
بنت النبي محمد المختار ... بالرتب المنيفه
ألغوا بها نص الكتاب ... ومزقت منها الصحيفه
وبنحلة الهادي استبدوا ... إذ زووا إرث الشريفه
عجباً لمنتصر لهم ... والغي لم ينصر حليفه
رأس الضلالة شيخ تيم ... والأليف حكى أليفه
أنشدت قولة خائف ... من دهره يخشى صروفه

ابن قريعة:

يا من يسائل دائباً ... عن كلّ معضلة سخيفه
لا تكشفن مغطئاً ... فلربما كشفت جيفه

---

(١) أبيات الشيخ قاسم حفظه الله نقلتها من مجموعة الخطيب الفاضل الأستاذ الشيخ مسلم ابن الخطيب الشيخ محمد علي الجابري.

ولــرب مــســتــور بــدا كالطبل من تحت القطيفه
إن الــجــواب لــحــاضــر لــكــنــني أخــفــيــه خــيــفــه
لــولا اعــتــذار رعــيــة ألغى سياستها الخليفه
وســيــوف أعــداء بــهــا هــامــاتــنــا أبــداً نــقــيــفــه
لــنــشــرت مــن أســرار آل مــحــمــد جــمــلاً طــريــفــه
يــغــنــيــكــم عــمــا رواه مــالــك وأبــو حــنــيــفــه
وأريــتــكــم أن الــحــســيــن أصــيــب مــن يــوم الــسقــيــفــه
ولأي حــــال لــــحّــــدت في الليل فاطمة الشريفه
ولــمــا حــمــت شــيــخــيــكــم عن وطء حجرتها المنيفه
أوه لــبــنــت مــحــمــد مــاتــت بــغــصــتــهــا أســيــفــه

ولبعض أشراف مكة المكرمة[1]:

---

(١) ذكر حجة الإسلام السيد محسن الأمين العاملي في المجالس السنية: ج٥، ص١٠١، أن هذه القصيدة وجدت بخط الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي ويظهر من آخرها أنها لبعض أشراف مكة وتوهم بعضهم أنها للخدوعي، ومن الواضح أنه منشد للقصيدة لا ناشئ لها ويرتئي الخطيب الأستاذ المدقق الشيخ محمد علي اليعقوبي أنها للشريف «قتادة بن إدريس ابن مطاعن» فإنه كان أديباً شاعراً ولم يعرف عن هذه السلسلة مثله قلت هو الذي كتب إلى الناصر العباسي أو ابنه المستنصر لما أرسل إليه يطلب مجيئه إلى العراق فلما وصل «النجف» خرج أهله للاستقبال وفي جملة من خرج معه أسد مربوط بسلسلة فلما رآه قتادة تطيَّر وقال: لا أدخل بلاداً =

ما لعيني قد غاب عنها كراهاً وعراها من عبرة ما عراها
ألدار نعمت فيها زماناً ثم فارقتها فلا أغشاها
أم لحيٍّ باتوا بأقمار تمٍّ يتجلى الدجى بضوء سناها
أم لخود غريرة الطرف تهـ واني بصدق الوداد أم أهواها
أم لصافي المدام من مزة الطعم عقاراً مشمولة أُسقاها
حاش لله لست أُطمع نفسي آخر العمر باتباع هواها
بل بكائي لذكر من خصها اللّـ ـه تعالى بلطفه واجتباها
ختم اللّه رُسُله بأبيها واصطفاه لوحيه واصطفاها
وحباها بالسيدين الزكيين الـ إمامين منه حين حباها
ولفكري في الصاحبين اللذين استحسنا ظلمها وما راعياها
منعا بعلها من العهد ومن العقد وكان المنيب والأوّاها
واستبدا بإمرة دبراها قبل دفن النبي وانتهزاها

= تذل فيها الأسود ثم كتب إلى الخليفة:

بلادي وإن جارت علي عزيزة ولو أنني أعرى بها وأجوع

في أبيات خمسة ذكرها في عمدة الطالب ص١٢٩ طبع النجف وهو أول من ملك مكة سنة ٥٩٧هـ وطرد الهواشم عنها، وكانت وفاته كما في شذرات الذهب: ج٥، ص٧٦ سنة ٦١٧ وعاش أكثر من ثمانين سنة وجاء ذكره في كامل ابن الأثير: ج١٢، ص٧٩، حوادث سنة ٦٠١ والنجوم الزاهرة: ج٦، ص٢٠٦، والبداية لابن كثير: ج١٣، ص٤١، والأعلام للزركلي: ج٢، ص٧٨٩.

وأتت فاطمة تطالب بالإر ... ث من المصطفى فما ورثاها
ليت شعري لِمَ خولفت سنن القر ... آن فيهاوالله قد أبداها
رضي الناس إذ تلوها بما لم ... يرضَ فيها النبي حين تلاها
نسخت آية المواريث منها ... أم هما بعد فرضها بدلاها
أم ترى آية المودة لم تأ ... تِ بودّ الزهراء في قرباها
ثم قالا أبوك جاء بهذا ... حجة من عنادهم نصباها
قال للأنبياء حكم بأن لا ... يورثوا في القديم وانتهزاها
أفبنت النبي لم تدرِ إن كا ... ن نبي الهدى بذلك فاها
بضعة من محمد خالفت ما ... قال حاشا مولاتنا حاشاها
سمعته يقول ذاك وجاءت ... تطلب الإرث ضلة وسفاها
هي كانت لله أتقى وكانت ... أفضل الخلق عفة ونزاها
أو تقول النبي قد خالف القر ... آن ويح الأخبار ممن رواها
سل بإبطال قولهم سورة النمل ... وسل مريم التي قبل طاها
فهما ينبئان عن إرث يحيى ... وسليمان من أراد انتباها
فدعت واشتكت إلى الله من ذا ... ك وفاضت بدمعها مقلتاها
ثم قالت فنحلة لي من وا ... لدي المصطفى فلم ينحلاها
فأقامت بها شهوداً فقالوا ... بعلها شاهد لها وابناها
لم يجيزوا شهادة ابني رسو ... ل الله هادي الأنام إذ ناصباها
لم يكن صادقاً علي ولا فا ... طمة عندهم ولا ولداها
كان أتقى لله منهم عتيق ... قبح القائل المحال وشاها

جرعاها من بعد والدها الغيظ مراراً فبئس ما جرعاها
أهل بيت لم يعرفوا سنن الجو رِ التباساً عليهم واشتباها
ليت شعري ما كان ضرهما الحفظ لعهد النبي لو حفظاها
كان إكرام خاتم الرسل الها دي البشير النذير لو أكرماها[1]
إن فعل الجميل لم يأتياه وحسان الأخلاق ما اعتمداها
ولو ابتيع ذاك بالثمن الغا لي لما ضاع في اتباع هواها
أترى المسلمين كانوا يلومو نهما في العطاء لو أعطياها
كان تحت الخضراء بنت نبي صادق ناطق أمين سواها
بنتُ من؟ أُمُّ من؟ حليلة من؟ ويل من سنّ ظلمها وأذاها
ذاك ينبيك عن حقود صدور فاعتبرها بالفكر حين تراها
قل لنا أيها المجادل في القو ل عن الغاصبين إذ غصباها
أهما ما تعمداها كما قلت بظلم كلا ولا اهتضماها

---

(١) نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٣، ص٣٥١، استغراب النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلوي من إصرار الشيخين على منع فاطمة فدكاً وقال: لو كانت فدك للمسلمين كما زعما فهلا استنزلا المسلمين عن حقوقهم كما استنزلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قلادة ابنته زينب التي بعثتها فداءً عن زوجها أبي العاص يوم بدر مع أن زينب لا تداني فاطمة في المنزلة المجعولة لها من الله تعالى وكلما أراد ابن أبي الحديد الدفاع عن هذه الزلة لم ير طريقاً واضحاً وبالآخرة اعترف بأن القاضي عبد الجبار ابن أحمد قال: إنهما لم يأتيا حسناً في شرع التكرم.

فلماذا إذ جهزت للقاء الله عند الممات لم يحضراها
شيعت نعشها ملائكة الرحمن رفقاً بها وما شيعاها
كان زهداً في أجرها أم عناداً لأبيها النبي لم يتبعاها
أم لأن البتول أوصت بأن لا يشهدا دفنها فما شهداها
أم أبوها أسرّ ذاك إليها فأطاعت بنت النبي أباها
كيفما شئت قل كفاك فهذي فرية قد بلغت أقصى مداها
أغضباها وأغضبا عند ذاك الله رب السماء إذ أغضباها
وكذا أخبر النبي بأن الله يرضى سبحانه لرضاها
لا نبي الهدى أُطيع ولا فاطمة أُكرمت ولا حسناها
وحقوق الوصي ضيع منها ما تسامى في فضله وتناهى
تلك كانت حزازة ليس تبرى حين ردا عنها وقد خطباها
وغداً يلتقون والله يجزي كل نفس بغيّها وهداها
فعلى ذلك الأساس بنت صا حبة الهودج المشوم بناها
وبذاك اقتدت أمية لما أظهرت حقدها على مولاها
لعنته بالشام سبعين عاماً لعن الله كهلها وفتاها
ذكروا مصرع المشايخ في بد ر وقد ضمخ الوصي لحاها
وبأُحد من بعد بدر وقد أتعس فيها معاطساً وجباها
فاستجادت له السيوف بصفين وجرّت يوم الطفوف قناها
لو تمكنت بالطفوف مدى الد هر لقبلت تربها وثراها
أدركت ثارها أمية بالنا ر غداً في معادها تصلاها

أشكر الله أنني أتوالى عترة المصطفى وأشنى عِداها
ناطقاً بالصواب لا أرهب الأ عداء في حبهم ولا أخشاها
نح بها أيها (الخدوعي) واعلم أن إنشادك الذي أنشاها
لك معنى في النوح ليس يضاهى وهي تاج للشعر في معناها
قلتها للثواب والله يعطي الأ جر فيها من قالها ورواها
مظهراً فضلهم بعزمة نفس بلغت في ودادهم منتهاها
فاستمعها من شاعر علوي حسني في فضله لا يضاهى
سادة الخلق قومه غير شك ثم بطحاء مكة مأواها

لحجة الإسلام آية الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي[1]:

أنائحة مثلي على العرصة القفرا تعالي أُقاسمك المناحة والذكرى
حديث الجوى يا ورق يرويه كلنا عن العبرة الوطفاء والكبد الحَرَّى
كلانا كئيب يتبع النوح أنة إذا ما وعاها الصخر صدعت الصخرا
خذي لك شطراً من رسيس مبرّح ولي منه يا ذات الجناح ذري شطرا
خلا أنها تبكي وما فاض دمعها وأجريتها من مقلتي أدمعاً حمرا
فلا جمر أحشائي يخفف عبرتي ولا عبرتي في صوبها تخمد الجمرا

---

(١) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩هـ وتوفي في ١٢ ذي الحجة هـ ودفن في مقبرته بجنب الحسينية التي أسسها في (النبطية) وقد تفضل بالقصيدتين حضرة الأديب المهذب السيد محمد حسين فضل الله العاملي.

وقائلة وهي الخلية من جوى معرّسه أضحى الحيازم والصدرا
رويدك نهنه من غرامك واتخذ شعاريك في الخطب التجلد والصبرا
فقلت وراك فاتني الصبر كله لرزءٍ أُصيبت فيه فاطمة الزهرا
غداة تبدَّت مستباحاً خباؤها ومهتوكة حجب الخفارة والسترا
على حين لا عين النبي أمامها لتبصر ما عانته بضعته قسرا
على حين لا سيف الرسول بمنتضى الغرار ولم تنظر لرايته نشرا
على حين لا مستأصل من يضيمها ولا كاشف عنها الحوادث والضرا
بنحلتها جاءت تطالب معشراً بدا كفرهم من بعد ما أضمروا الكفرا
عموا عن هواها ثم صمّوا كثيرهم كأنّ بسمع القوم من قولها وقرا
لقد أرعشت بالوعظ صل ضغونهم فثاروا لها والصل إنْ يرتعش يضرا
فلو أنهم أوصى النبي بظلمهم لها ما استطاعوا غير ما ارتكبوا أمرا
وأنى وهم طوراً عليها تراثها أبوا وأبوا منها البكا تارة أُخرى
وهم وشموها تارة بسياطهم وآونة قد أوسعوا ضلعها كسرا
وخلي حديث «الباب» ناحية فما تمثلته إلّا جرت مقلتي نهرا
بنفسي التي ليلاً توارت بلحدها وكان بعين الله أن دفنت سرا
بنفسي التي أوصت بإخفاء قبرها ولولاهم كانت بإظهاره أحرى
بنفسي التي ماتت وملء برودها من الوجد ما لم تحوِهِ سعة الغبرا
رموها بسهم عن قسيٍّ حقودهم فأصبح فيما بينهم دمها هدرا
عليها سلام الله لا زال واصلاً لها فصلاة الله ما برحت تترى

وله رحمه اللّه في مدحها:

خذ في مديحك للبتول ... حظين من طول وطول
قل للقريحة في مهذب مد ... حة: فيضي وسيلي
ولفيك قل فه في حد ... يثك غير محسود كليل
قل للبتول عظيم فضـ ... ـل لم يدنس بالفضول
هي قبل كل مكون ... قنديل عرش للجليل
هي صفوة للخلق سيـ ... ـدة لنسوة كل جيل
هي للقبيل عقيلة ... ومليكة هي للعقول
هي للنبي وللوصي ... وللزكي وللقتيل
مقرونة في عصمة ... عن كلّ مذموم وبيل
هي لبوة نبوية ... محجوبة في خير غيل
سكن لحيدرة وحيـ ... ـدرة هزبر للرسول
من ذين قرت عينه ... في مشبلين وفي شبول
كفوين من نسب قصير ... مستنير مستطيل
بحرين ملتقيين ليـ ... ـس لكل بحر من عديل
كل يفيض معينه ... بعذوبة من سلسبيل
جلَّت حليلة حيدر ... لو لم يكنه عن حليل
سبقت بحلبة كل فضل ... كل ذي فضل نبيل
صعدت محلقة فصو ... ب كل عقل للنزول
وصلت لحد لم يصله ... كل ذي شرف جليل

هي رحمة للمسلمين ورحمة للمستنيل
وشفيعة مرضية للَّه في يوم مهول
شخصت به مقل وفرَّ به خليل عن خليل
هل غير بنت محمد للخلق من ظل ظليل؟

«لحجة الإسلام آية الله الشيخ هادي آل كاشف الغطاء (قده)»:

فاطمة خير نساء الأمة من كلّ ذنب عصمت ووصمة
خير النساء فاطم الزهراء يزهر نورها إلى السماء
قد فطمت عن الجحيم الحاطمة شيعتها فسميت «بفاطمة»
ما مثلها في كل أقربائه لا من بناته ولا نسائه
قد ولدت من بعد عام البعثه وقد حوت دون بنيه إرثه
وكان منها دون من عداها من أهله نسل النبي طاها
«أُم أبيها» وهي أُم ابنيه أحب أهل بيته إليه
لولا علي لم يكن كفء لها من آدم إلى من الخلق انتهى
من بهم تاب الإله وعفا عن آدم وقد كفاه شرفا
ومن بهم باهل سيد الورى وقل تعالوا أمرها لن ينكرا
و«هل أتى» في حقها وكم أتى من آية ومن حديث ثبتا
لما رووه في الصحيح المعتبر من أنها بضعة سيد البشر
وبضعة المعصوم كالمعصوم في الحكم بالخصوص والعموم

لأنها من نفسه مقتطعه ... فحقها في حكمه أن تتبعه
إلّا الذي أخرجه الدليل ... فإننا بذاك لا نقول
ولم يرد في غيرها ما وردا ... في شأنها فالحكم لن يطردا
وآية التطهير قد دلت على ... عصمتها من الذنوب كملا
اذهب عنها ربها الرجس كما ... طهرها في الخلق عما وصما
صلِّ عليها إن من صلى على ... فاطمة يغفر له ما فعلا
وربه يلحقه امتنانا ... بالمصطفى في الخلد حيث كانا
ويل لمن ماتت عليه غضبى ... في شأنها لم يرعَ حق القربى
قد بقيت بعد أبيها المصطفى ... شهراً وعشراً فعلى الدنيا العفا
وقيل شهرين ونصف شهر ... قد بقيت بعد أبيها الطهر
وقيل تسعين من الأيام ... وخمسة تكون بالتمام
وقيل في ذلك أقوال أُخر ... وما ذكرناه هو الذي اشتهر
هذا ولكن أول الأقوال ... أنسبها بمقتضى الأحوال
فإنها لاقت من الأهوال ... وسيّئ الأفعال والأقوال
ما لو يلاقِ بعضه الجبالا ... لزلزلت من وقعه زلزالا
وكيف تبقى مدة من الزمن ... من بعد هاتيك الخطوب والمحن
يكفي لموتها من الأخطار ... وقعة بين (الباب والجدار)
في دارها قد هجموا عليها ... قد روعوها وأخافوا ابنيها
وشاهدت بعينها ما قد جرى ... منهم على ابن عمها مولى الورى
من بيتها قد أخرجوه قهرا ... يقاد بالنجاد قود الأسرى

رأت من الذلة والهوان وقلة الأنصار والأعوان
ومن أبيها منعوا ميراثها ولم تجد في القوم من أغاثها
لم يحفظوا بضعته من بعده ويحفظ المرء بحفظ ولده
لقد أضاعوا حقها جهارا وأنكروا حجتها إنكارا
وطلبوا بيّنة منها على ما كان تحت يدها مستعملا
ما طلبت لأن يصيبوا رشدا ما طلبت إلّا لأن تردّا
كأنهم لم يعلموا أمر فدك ولا دروا بمن لها كان ملك
أكان يخفى أمرها عليهم ولم يصل من مخبر إليهم
وهل بهذا الأمر من خفاء وأنها نحيلة الزهراء
وكيف تستعظم غصبهم فدك أو يعتريك اليوم في ذلك شك
وقد جنوا ما هو أدهى وأمر وارتكبوا أمراً عظيماً ذا خطر
خلافة تقمصوها غصبا من أهلها وانتهبوها نهبا
واغتصبوا من الوصي حقه ولم يراعوا قربه وسبقه
لو راقبوا معادهم وأنصفوا لأذعنوا لأمره واعترفوا
هل فيهم من اقتفى آثاره أو شق في مكرمة غباره
وهل لهم من العلوم والحكم معشار ما قد صح عنه وارتسم
له من الفضائل المأثور ما لم تسعه الصحف المنشوره
علماً تقىً شجاعة فصاحة زهداً حجى عبادة سماحة
هذا مع الغض عن النصوص عليه بالعموم والخصوص
من آية تتلى ومن نص خبر عن النبي المصطفى قد اشتهر

وأوضح الحق النبي الأُمِّي ... للناس طراً في غدير خمِّ
فمن ترى أولى بهذا الأمر ... فاحكم بوجدانك يا ذا الخبر
وكيف والتقديم للمفضول ... تمنعه أوائل العقول
باسم أمير المؤمنين اختصا ... وكم على هذا حديث نصّا
فلا تسمِّ أحداً سواه ... وإن يكن ذلك من أبناه
أخو النبيِّ وَأبو سبطيه ... ونفسه تحلّ في جنبيه
أخوه وابن عمه وصهره ... به كهارون يشد أزره
أفضل من صلى وصام واقتربْ ... بعد نبيِّ الحق سيد العربْ
من لم يوالِه فلا إيمان لهْ ... والله لن يقبل منه عملهْ
لا تصبر الشم الرعان صبره ... ولا تداني حلمه وقدره
شاهد فيهم فاطماً وظلمها ... وغصبها حقوقها وهضمها
يسمع ملء سمعه شكواها ... ثم يرى بعينه بكاها
ما كان يرضى أنها تهتضم ... أو أنها بعد أبيها تظلم
أكان منه ذاك جبناً وحذر ... أو عجزاً عن النضال وخور
لا والذي كوَّنه بجوده ... أكبر آية على وجوده
بل ذلَّل النفس لعز الدين ... وما انطوى في علمه المكنون

«لحجة الإسلام آية الله الشيخ محمد حسين الاصفهاني قدس سره»:

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فأبدت عاليات الأحرف

وقد تجلّى من سماء العظمه ... في عالم الأسماء أسمى كلمه
بل هي أُم الكلمات المحكمه ... في غيب ذاتها فكانت مبهمة
أم أئمة العقول الغر بل ... «أم أبيها» وهو علة العلل
روح النبي في عظيم المنزله ... وفي الكفاء كفء من لا كفء له
تمثلت رقيقة الوجود ... لطيفة جلَّت عن الشهود
تطورت في أفضل الأطوار ... نتيجة الأدوار والأكوار
تصورت حقيقة الكمال ... بصورة بديعة الجمال
فإنها الحوراء في النزول ... وفي الصعود محور العقول
يمثل الوجوب في الإمكان ... عيانها بأحسن العيان
فإنها قطب رحى الوجود ... في قوسَي النزول والصعود
وليس في محيط تلك الدائرة ... مدارها الأعظم إلّا «الطاهرة»
مصونة عن كل رسم وسِمَه ... مرموزة في الصحف المكرمه
«صديقة» لا مثلها صديقة ... تفرغ بالصدق عن الحقيقه
بدا بذلك الوجود الزاهر ... سر ظهور الحق في المظاهر
هي البتول الطهر والعذراء ... كمريم الطهر ولا سواء
فإنها «سيدة النساء» ... ومريم الكبرى بلا خفاء
وحبها من الصفات العاليه ... عليه دارت القرون الخاليه
تبتلت عن دنس الطبيعة ... فيا لها من رتبة رفيعه
مرفوعة الهمة والعزيمة ... عن نشأة الزخارف الذميمه
في أفق المجد هي الزهراء ... للشمس من زهرتها الضياء

بل هي نور عالم الأنوار ومطلع الشموس والأقمار
رضيعة الوحي من الجليل حليفة لمحكم التنزيل
مفطومة عن زلل الأهواء معصومة عن وصمة الخطاء
معربة بالستر والحياء عن غيب ذات بارئ الأشياء
«راضية» بكل ما قضى القضا بما يضيق عنه واسع الفضا
«زكية» عن وصمة القيود فهي غنية عن الحدود
يا قبلة الأرواح والعقول وكعبة الشهود والوصول
من بقدومها تشرفت مِنى ومن بها تدرك غاية المُنى
وبابها الرفيع باب الرحمه ومستجار كل ذي ملمه
وما الحطيم عند باب فاطمة بنورها تطفأ نار الحاطمه
وبيتها المعمور كعبة السما أضحى ثراه للثريا ملثما
وخدرها السامي رواق العظمه وهو مطاف الكعبة المعظمه
حجابها مثل حجاب الباري بارقة تذهب بالأبصار
تمثل الواجب في حجابها فكيف بالإشراق من قبابها
يا درة العصمة والولاية من صدف الحكمة والعناية
ما الكوكب الدريُّ في السماء من ضوء تلك الدرة البيضاء
والنيِّر الأعظم منها كالسُّها كيف ولا حدّ لها ومنتهى
أشرقت العوالم العُلْويّه بنور تلك الدرة البهيه
يا دوحة جازت سنام الفلكِ بل جاوز السدرة فرعها الزكي
يا دوحة أغصانها تدلت بموضع فيه العقول ضلت

دنت إلى مقام أو أدنى فلا ... تبتغِ من ذلك أعلا مَثَلا
يا شجره الطور وأين الشجره ... من دوحة المجد الأثيل المثمره
وإنما السدرة والزيتونه ... عنوان تلك الدوحة الميمونه
أثمارها الغر مجالي الذات ... مظاهر الأسماء والصفات
مبادئ الحياة في البداية ... ومنتهى الغايات في النهاية
أثمارها عزائم القرآن ... في صفحات مصحف الإمكان
أثمارها منابت للمعرفه ... من جنة الذات غدت مقتطفه
لك الهنا (يا سيد الوجود) ... في نشآت الغيب والشهود
بمن تعالى شأنها عن مثلِ ... كيف ولا تكرار في التجلي
لا يتثنى هيكل التوحيد ... فكيف بالنظير والنديد
وملتقى القوسين نقطة فلا ... ترى لها ثانية أو بدلا
وحيدة في مجدها القديم ... فريدة في أحسن التقويم
بشراك يا أبا العقول العشرة ... بالبضعة الطاهرة المطهرة
مهجة قلب عالم الإمكان ... وبهجة الفردوس في الجنان
غرتها الغراء مصباح الهدى ... يعرف حسن المنتهى بالمبتدا
وفي محيَّاها بعين الأوليا ... عينان من ماء الحياة والحيا
بل وجهها الكريم وجه الباري ... وقبلة العارف بالأسرار
بشراك يا خلاصة الإيجاد ... بصفوة الأنجاد والأمجاد
أُم الكتاب وابنة التنزيل ... ربة بيت العلم بالتأويل
بحر الندى ومجمع البحرين ... قلب الهدى ومهجة الكونين

واحدة النبيّ أول العدد ... ثانية الوصيّ نسخة الأحد
ومركز الخمسة من أهل العبا ... ومحور السبع علواً وإبا
لك الهنا يا سيد البريه ... بأعظم المواهب السنيه
أتاك طاووس رياض الأُنس ... بنفحة من نفحات القدس
من جنة الصفات والأسماء ... جلّت عن المديح والثناء
فارتاحت الأرواح من شميمها ... واهتزت النفوس من نسيمها
بها انتشى في الكون كل صاح ... وطابت الأشباح بالأرواح
تحيى بها الأرض ومن عليها ... ومرجع الأمر غداً إليها
لهفي لها قد أُضيع قدرها ... حتى توارى بالحجاب بدرها
تجرعت من غصص الزمان ... ما جاوز الحدّ من البيان
وما أصابها من المصاب ... مفتاح بابه «حديث الباب»
إن حديث الباب ذو شجون ... مما به جنت يد الخؤون
أيهجم العدى على بيت الهدى ... ومهبط الوحي ومنتدى الندى
أيضرم النار بباب دارها ... وآية النور علا منارها
وبابها باب النبي الرحمة ... وباب أبواب نجاة الأُمة
بل بابها باب العليِّ الأعلى ... فثمَّ وجه الله قد تجلى
ما اكتسبوا بالنار غير العار ... ومن ورائه عذاب النار
ما أجهل القوم فإن النار لا ... تطفئ نور الله جل وعلا
وإنَّ كسر الضلع ليس ينجبر ... إلّا بصمصام عزيز مقتدر
إذ رضُّ تلك الأضلع الزكيه ... رزية لا مثلها رزيَّه

ومن نبوع الدم من ثدييها ... يعرف عظم ما جرى عليها
وجاوز الحدّ بلطم الخدِّ ... شلت يد الطغيان والتعدي
فاحمرت العين وعين المعرفة ... تذرف بالدمع على تلك الصفة
ولا تزيل حمرة العين سوى ... بيض السيوف يوم ينشر اللوا
وللسياط رنة صداها ... في مسمع الدهر فما أشجاها
والأثر الباقي كمثل الدملج ... في عضد الزهراء أقوى الحجج
ومن سواد متنها اسودَّ الفضا ... يا ساعدَ اللّهُ الإمامَ المرتضى
ووكز نعل السيف في جنبيها ... أتى بكل ما أتى عليها
ولست أدري خبر المسمار ... سل صدرها خزانة الأسرار
وفي جنين المجد ما يدمي الحشا ... وهل لهم إخفاء أمر قد فشا
والباب والجدار والدماء ... شهود صدق ما به خفاء
لقد جنى الجاني على جنينها ... فاندكت الجبال من حنينها
أهكذا يصنع بابنة النبي ... حرصاً على الملك فيا للعجب
أتمنع المكروبة المقروحه ... عن البكا خوفاً من الفضيحه
تالله ينبغي لها تبكي دما ... ما دامت الأرض ودارت السما
لفقد عزها أبيها السامي ... ولاهتضامها وذل الحامي
أتستباح نحلة الصديقه ... وإرثها من أشرف الخليقه
كيف يردّ قولها بالزور ... إذ هو ردّ آية التطهير
أيؤخذ الدين من الأعرابي ... وينبذ المنصوص بالكتاب
فاستلبوا ما ملكت يداها ... وارتكبوا الخزية منتهاها

يا ويلهم قد سألوها البينة على خلاف السنّة المبيّنة
وردّهم شهادة الشهود أكبر شاهد على المقصود
ولم يكن سدّ الثغور غرضا بل سد بابها وباب المرتضى
صدوا عن الحق وسدوا بابه كأنهم قد أمِنوا عذابه
أبضعة الطهر العظيم قدرها تدفن ليلاً ويعفى قَبرُها
ما دفنت ليلاً بستر وخفا إلّا لوجدها على أهل الجفا
ما سمع السامع في ما سمعا مجهولة بالقدر والقبر معا
يا ويلهم من غضب الجبار بظلمهم ريحانة المختار

«لحجة الإسلام الشيخ ميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي»:

ليهني الهدى فيضه الأقدس غداة زهى الثقل الأنفس
شأت أرض مكة فيه السما فذل لها الفلك الأطلس
وغالى بها القدس من فاطم فزايلها الثمن الأوكس
وغصن النبوة أعياصه بروض الجنان لها مغرس
ونسج الخلافة أبرادها فما الحور جللها السندس
مشت في الصعيد وعلياؤها لها فوق هام السما معطس
وعن غير سؤددها المستفيض غدت سُوَرُ الذِّكْرِ لا تَنْبِس
وقد وقفت فيه في مستوى بوصم الرجاسة لا يدنس
فعن دنس الشرك مفطومة وعن كلّ شائنة تحرس

لئن تسعَ في نيله العاثرات يؤخرها عزها الأقعس
فأين من النور نور الهدى بظلماء ليل العمى حندس
وفي منتهى القوس عند الصعود ليس لمن يبتغي ملمس
بإمكانها الأشرف المستنير نيطت بآفاقها الأنفس
وإن على ودّها الأنبيا ء علواً بنيّة ما أسسوا
ودارت عليه قرون مضت تقفى البليغ به المبلس
وفي الملكوت لها موقف وذكر إلى الحشر لا يدرس
ولم يلفَ كفءٌ لها في الوجود لولا ابن فاطمة الأقدس
وذرية بعدها قد زكوا فمن أقعس بعده أشوس
أئمة حق هم المصطفون لأمر الخلافة ما استيأسوا
وتيم بن مرة أعلامها ونوكى عديٌّ بها نُكَّس
وما لابن عفان في منتدى القداسة إما احتبى مجلس
سوى آل فاطمة الأكرمين يطأطئ منا لها الأرؤس
أقول وأنيس اللسان الثناء وقلبي بذكراهم يأنس
ذخرت لمثوى اللحود الولا ء ويوم هو المقلق المخرس
ونشوة حبي بني فاطم تدار لها بيننا الأكؤس
وإن كان قصراً عليها الفخا ر فإن عليها الثناء يحبس

«لحجة الإسلام وعلم الأعلام الشيخ محسن ابن الشيخ شريف ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ الأكبر صاحب

الجواهر قدس سره»[١]:

قفا روِّحا بالبيض عن كبدي الحَرّا
وكفا بسمر الخط أدمعي الحمرا
ولا تسأما أن تبكيا بشبا الظبا
حوادث قد أبكت دماً أحمد الطهرا
حوادث أبكت أحمداً ووصيه
وبضعته واستأصلت آله الغُرّا

---

(١) كان قدس سره من أعلام الدين والمجتهدين المحققين لا تأخذه في الله لومة لائم مجاهداً في إحياء الشرع الأقدس في حله ومرتحله فارق وطنه ومسقط رأسه النجف وسكن الأهواز ونواحيه للإرشاد والهداية رادعاً للظالم منتصفاً للمظلوم لا يعبأ بمن بيده الدنيا إن رآه حائداً عن الصراط السوي فانعطفت عليه القلوب وقدسته الألسن، حضر في الفقه والأصول على شيخ الشريعة والشيخ محمد حسين الكاظمي والسيد علي الشرع والشيخ علي الشيخ باقر آل الجواهر وفي الحكمة والكلام على أحد فضلاء الترك المبرزين وأجازه الحجة آية الله ميرزا محمد حسين النائيني إجازة اجتهاد مفصلة رأيتها بخطه: ١ ـ له من الآثار شرح نجاة العباد كبير. ٢ ـ الفرائد الغوالي في شرح شواهد أمالي السيد المرتضى في الأدب والتاريخ والنقد أربع مجلدات. ٣ ـ القلائد الغرر في إمامة الاثني عشر. ٤ ـ شرح منظومة السيد محمد باقر الحجة الطباطبائي. ٥ ـ عدة أراجيز في الكلام والقراءة والمواريث ولد رحمه الله سنة ١٢٩٥هـ وتوفي في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥هـ ودفن في النجف في مقبرتهم الخاصة بجوار ضريح جدّهم الأكبر صاحب الجواهر (قده).

حوادث ما أبقت لدين محمد عماداً ولا ألوت على الحجة الكبرى

حوادث أعطت آله السيف بعده ولم يتخذ إلّا مودتهم أجرا
غداة عدت بغياً على دين أحمد عدي وتيم وادعت بعده الأمرا
أذلا قريش جانباً وأقلها قبيلاً وأجفاها وألأمها نجرا
وأخسرها في ساحة المجد صفقة وأخملها في يوم مفخرة ذكرا
فسل عنهما أُحداً وسل يوم خيبر ففي ذا غنى أما قتلتهما خبرا
ويوم حنين أعطيا سيد الورى عهودهما أن لا يفرا وقد فرا
وسل يوم بدر والمشاهد كلها فما أحرزا فيها غناءً ولا نصرا
ولا قتلا فيها قتيلاً وأغنيا بيوم فتيلاً لا ولا طلبا وترا
ولا جاريا في حومة الحرب مسلماً ولا أبليا في ملتقى جيشها عذرا
وسل عنهما أحكام دين محمد فقد ركبا في أمرها مركباً وعرا
وكم قضيا بالجور فيها فردّها إلى العدل أقضاها وأشرفها قدرا
وأولها سلماً وأرسخها حجىً وأوفرها علماً وأعظمها صبرا

*****

فيا ضلة ما ذا جنت بعد أحمد صحابته من سبة شانت الدهرا
ويا ضلة ماذا جنته بفرية إلى الحشر لا تنفك معقبة شرا
عدت بعده جهراً على بيت حيدر وحاكت ثياب الذل للبضعة الزهرا
ولم يجن ذنباً عندهم غير أنه أقام عمود الدين واستأصل الكفرا
فخلِّ قريشاً والسفاهة جانباً فقد طلبت عند النبي لها وترا
وعرج على أبناء قيلة فالحشا لردتها بعد الهدى احتدمت جمرا

وسلها عهود المصطفى إن نكثها أراق دم الإسلام ما بينها جهرا
ألم تعطه العهد الوثيق بأنه إذا جاءك لم يشكُ ضيماً ولا ضرا
وأنّ له منهم حمىً دون نفسه وأهليه والله الشهيد بها أدرى
فلم غيرت واستبدلت بعد عهده وأغضت على ظلم المطهرة الزهرا
وعن ملأ منهم أتت بنت أحمد تناشد حقاً نصه الله في الذكرى
وعن ملأ ردّت إلى عقر بيتها تجر ثياب الذل مهضومة عبرى
ويوم اقتحام الدار يوم تهتكت به حرمات الله حتى بدت حسرى
فعن ملأ منهم أتوا بيت فاطم مقر الهدى والدين والحجة الكبرى
غداة غدى ركن الضلالة حاملاً
على ظهره أضعاف ما في الحشا أورى
يحاول حرق الدار والدار تلتقي
على صبية لم تعرف الخوف والذعرا
ينادي به اخرج علي وإن تقم
فللنار أعمال ستخرجكم قسرا
فكم ريعت الكبرى بهذا وكم شكت
إلى جدّها ما نالها منهم الصغرى
وكم هتفت بالمسلمين وكم دعت
بيا لرسول الله لابنتك الزهراء
ولا قائل منهم دعوها فإنها سليلة خير الخلق والبضعة الحورا
تناشدهم والمسلمين ولو دعت بحق رسول الله صلد الصفا خرّا

تقول لهم يا قوم بيتي ولم يكن نبي الهدى يوماً ليدخله قهرا
فما كف عنها الرجس بل حركت له حشى فيه نار الحقد كامنة دهرا
وهاجم بيت الوحي والباب دونه عقيلة آل الله مسندة صدرا
ولم يَرْعها بل راعَها وتزاحموا على الباب أفواجاً فأبئس بهم طُرّا

* * * * *

فقل للذي رام اعتذاراً لبغيهم
على المصطفى، قُبِّحت من طالبٍ عذرا
زعمت ابنة الهادي اطمأنت وأذعنت
لما لفقوا يا بئسما احتقبوا وزرا
فما بالها غضبى قضت بعد عذرهم
وما بالها لما قضت دفنت سرا
فيا أيها العاوي على إثر من مضى
بغير هدى أكثرت في قولك الهجرا
إلى كم ترى نهج الضلالة لاحباً
جلياً وملحوب الهدى مظلماً وعرا
وفيم تعدّ الغيَّ رشداً ولا ترى
سبيل هدى إلا اختلقت له سترا
وحتّام لا تصغي لعذل ولا تعي
مقالة ذي رشد ولا تسمع الذكرا
رويداً فليس الدين بالرأي يبتغى وعما قليل يطمئن بك المسرى

«العالم الكامل الأديب الشيخ حسن الحلي[١]»:

(١) هو ابن حجة الإسلام آية الله الشيخ علي ابن الحاج حسين بن حمود بن حسن الحلي النجفي من عشيرة طفيل الذين يسكن البعض منهم قريب الحلة المجاورة لقبر النبي أيوب عليه السلام تعرف باسمهم كان المترجم طاهر الضمير صقيل النفس خفيف الروح حلو الحاضرة مرتفعاً عن الدنايا نزيهاً عن مقاربة ما يحط بشأنه من الخضوع للمادة التي لا تأتي إلّا عن طريق التبصبص وبيع الضمير والدين بالنزر، ولذا عاش رحمه الله في أكثر حياته بما ينسخه من الكتب والدواوين لأنه جيد الخط أديب يفهم ما يكتب ومع هذا كان مكباً على طلب العلم والتدريس تلمذ على جماعة أهل الفضل ففاق أقرانه والذي أخره عن إنتاج ما عنده من المعلومات ابتلاؤه بمرض السل الذي توفي فيه سنة ١٣٣٧هـ ودفن بالصحن الحيدري بالقرب من حافة الإيوان الذهبي ولم يترك إلّا رسالة في علم الصرف وديوان شعره اقتطفنا هذا من ترجمته المفصلة في «شعراء الحلة»: ج١، ص٢٢٩، للأستاذ الشيخ علي الخاقاني، وأما أخوه الشيخ حسين فهو مجموعة شعرية حوت أصولاً دقيقاً وفقهاً عالياً مشفوعاً بأسرار التفسير والبلاغة والنكات الأدبية وإن زهده في هذه الحياة حرج عليه التصدي للزعامة فخسرت الأمة صفقتها الرابحة حيث فاتها المنتشل لها إلى ساحل السعادة، «نعم» لم يفت أهل الفضل ومن لهم الخبرة بمقادير العلماء الانتهال من بحر علمه الزاخر والاقتباس من آرائه الدقيقة، وأما آثاره القيمة فكثيرة أخص منها رسالة في أخذ الأجرة على الواجبات ورسالة في الوضع ورسالة في معاملة اليانصيب والبيمة الشائعة في هذا الزمن ورسالة في قاعدة من ملك ورسالة في حكم بيع جلد الضب وطهارته وقبوله التذكية ورسالة في معاملة الدينار بأزيد منه ورسالة في عمل أهل كل أفق =

سل أربعاً فطمت أكنافها السحب عن ساكنيها متى عن أفقها غربوا
سرعان ما صاح طير البين بينهم فأصبحوا فرقاً عن عقرها عزبوا
سرت تجوب الفيافي فيهم النجب ولي فؤاد قفا آثارهم يجب
أتبعتهم ناظراً خيل الدموع به تسابقت فهو دامي الغرب مختضب
أضحت منازلهم للوحش معتكفاً فيهن طير الفنا ينعى وينتحب
لم يبقَ منها سوى رسم وذي شعث رأس أشجَّ علت من فوقه الكثب
وذي انحناء كجسم الصب تحسبه نوناً بها عجم شين الخط قد كتبوا
أوهت قواعدها كف الضنا فعفت آثارها ومحت سيماءه النوب
وقفت فيها ودمع العين منسكب كالغيث والنار في الأحشاء تلتهب

= على أفقهم وحكم المسافر بالطائرة من بلاد إلى أُخرى وقد اختلفا بالأفق ورسالة في إلحاق ولد الشبهة بالزوج الدائم ورسالة في قاعدة الفراش.

وله مجلدان كبيران يحتويان على مسائل متفرقة في الفقه والتفسير واللغة والأدب بعنوان السؤال والجواب وهذا غير ما كتبه من تقرير درس العلمين الحجتين آية الله ميرزا محمد حسين النائيني وآية الله الشيخ ضيا العراقي في الفقه والأصول وله تعليقة كبيرة على مكاسب الشيخ الأنصاري (ره) وتعليقة مهمة على مباحث الألفاظ من تقرير حجة الإسلام آية الله السيد أبي القاسم الخوئي لدرس الميرزا النائيني (قده) وتعليقة أُخرى على الأدلة العقلية من تقرير شيخنا «الكاظمي» (ره) لدرس الميرزا النائيني وله غير ذلك من المؤلفات التي لم يتحمل عدها هذا المختصر أسأل الله تعالى أن يتحف أهل العلم بإخراج هذه الرسائل إلى عالم الطبع ليسهل تناولها والانتفاع بها «إنه بعباده رؤوف رحيم».

وبـي لـواعـج وجـد لـو رميـت بـهـا
صدر الفضا ضاق وهو الواسع الرحب
حيران أقبض في رعش البنان حشاً حَرّى أناخت بها الأحزان والكرب
وقائل لي رفه عن حشاك ولي وجد إذا ما نزا بالقلب يضطرب
فقلت لم يشجني نأي الخليط ولا ربع محت رسمه الأعوام والحقب
لكن أذاب فؤادي حادث جلل تنمى إليه الرزايا حين تنتسب
يوم قضى المصطفى في صبحه وعلى ال
أعـقـاب مـن بـعـده أصـحـابـه انـقـلـبـوا
قادوا أخاه ورضّوا ضلع بضعته بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
لـمْ أنسـها وهْيَ تنعاه وتندبه وقـلـبـهـا بـيـد الأرزاء مـنـتـهـب
تقول يا والدي ضاق الفضاء بنا لمّا مضيت وحالت دونك الترب
(قد كـان بـعـدك أنـبـاء وهـنـبـثـة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب)
(إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا)
نفوا أخاك علياً عن خلافته وشيخ تيم عناداً منهم نصبوا
كقوم موسى أطاعوا العجل واعتزلوا
هارون والسامري الرجس قد صحبوا
ويـل لـهـم نـبـذوا الـقـرآن خـلـفـهـم
ومـزقـوه عـنـاداً بـئـس مـا ارتـكـبـوا
ما راقبوا غضب الجبار حين إلى الـ
ـمختار أحمد قول الهجر قد نسبوا

ألغوا وصاياه في أهليه وانتهبوا ميراثه وإلى حرمانهم وثبوا
جاروا على ابنته من بعده فغدت عبرى النواظر حزناً دمعها سرب
وجرَّعوها خطوباً لو وقعن على
صُمَّ الجبال لأضحت وَهْيَ تضطرب
أبضعة الطهر طه نصب أعينهم
بالباب يعصرها الطاغي وما غضبوا
رضّوا أضالعها أجروا مدامعها
أدموا نواظرها ميراثها غصبوا
لبيتها وهي حسرى في معاصمها
عدوا فلاذت وراء الباب تحتجب
فآلموا عضديها في سياطهم وأسقطوا حملها والمرتضى سحبوا
قادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم تدعو وأدمعها كالغيث تنسكب
يا قوم خلّوا ابن عمي قبل أن تقع
الخضراء فوق الثرى والكون ينقلب
فقنّعوها بقرع الأصبحية لا عداهمو سخط الجبار والغضب
ووشحوا متنها بالسوط فانكفأت لدارها وحشاها ملؤه عطب
حَرّى الفؤاد يروي الأرض مدمعها فكلما سال هذا ذاك يلتهب
قد حارب النوم عينيها وأنحلها فرط البكاء وأضنى جسمها التعب
ما بارحت قلبها الأحزان ذات حشاً
حرى إلى أن أُهيلت فوقها الترب

قضت وفي جنبها أثر السياط وفي
فؤادها للرزايا جحفل لجب
ما شيعوا نعشها السامي عُلاً ولقد
تزاحمت خلفها الأملاك تنتحب
سلّوا ظُبا الظلم من أغمادها فغدا
في حدها سبط طه الطهر يعتصب
ثاوٍ بحرّ هجير الشمس منجدلاً تظله السمر والهندية القضب
جالت عليه العوادي بعدما نهبت أشلاءه البيض والعسالة السلب
يا ثاوياً بمحاني الطف قد سلبوا ثيابه وكست جثمانه الكثب
(تالله ما سيف شمر نال منك ولا
يدا سنان وإن جلّ الذي ارتكبوا)
(لولا الأُلى أغضبوا رب العلى وأبوا
نص الولاء وحق المرتضى غصبوا)
(كفٌّ بها أُمك الزهراء قد ضربوا
هي التي أختك الحورا بها سلبوا)
فدونكم يا بني الزهراء مرثية
إنْ تُتْلَ شجواً فقلب الصخر ينشعب
أرجو خلاصي بها في يوم لا سبب
يغني سواكم ولا مال ولا حسب
عليكم صلوات الله ما طلعت
في الأفق شمس ولاحت أنجم شهب

وله في رثائها عليها السلام[1]:

لا رعى الله قيلة وعَراها ... سخط موسى وحلَّ منها عُراها
أغضبت أحمداً بعزل إمام ... فيه كم آية جهاراً تلاها
واجهته بما لهارون قدماً ... واجهت قومه ضلالاً سفاها
أخرته وأمَّرت شيخ تيم ... سر كفرانها وقطب شقاها
حالفته على الضلال وحادت ... عن أخي المصطفى منار هداها
أحدثت للورى أحاديث كذب ... لا نبيٌّ ولا وصيٌّ رواها
أسخطت ربها فلا رضي الرحمن عنها وخالفت نص طاها
فلكم قال وارثي ووصيي ... حيدر وهو للورى مولاها
هو مني كمثل هارون وهو الـ ... ـفلك للعالمين فيه نجاها
فاحفظوا لي وصيتي بابن عمي ... إنه للعلوم شمس سماها
أيها القوم إن بعدي كتاب الله ... فيكم وعترتي لن تضاهى
إن من صد عنهما كبرياءً ... فله النار في غد يصلاها
فغدا منهم يقاسي كتاب الله ... هجراً والآل فرط جفاها
حاربوا فاطماً وقد فرض الله ... على الخلق حبها وولاها
لقيت منهم خطوباً عظاماً ... لا يطيق الطود الأشم لقاها
كسر ضلع وغصب إرث ولطماً ... واهتضاماً منه استطال عناها

---

(١) نقلنا هذه القصيدة من «شعراء الحلة» الجزء الأول، ص٢٧٣، للأستاذ الشيخ علي الخاقاني.

أخرجوها من المدينة قهراً ... مذ أطالت لفقد طه نعاها
وعلى هضمها تواطأت الأنـ ... ـصار سراً وأظهرت بغضاها
عزلت بعلها عن الحل والعقد ... عناداً وأمَّرت أدعياها
غصباها تراثها ولظى الو ... جد وفرط السقام قد أورثاها
دفعاها عنه عناداً وظلماً ... مزقا صكها وما راعياها
وادعت نحلة لها من أبيها ... سيد الأنبيا فلم ينحلاها
فانثنت والفضاء ضاق عليها ... وشواظ الزفير حشو حشاها
وأتت دارها تجر رِداها ... والجوى كاد أن يريها رَداها
فأتوا نحو دارها وأداروا الجز ... ل كي يحرقوا عليها خباها
عصروها بالباب قسراً إلى أن ... كسروا ضلعها وهدّوا قواها
ألجأوها إلى الجدار فألقت ... محسناً وهي تندب الطهر طاها
دخلوا الدار وهي حسرى فقادوا ... بنجاد الحسام حامي حماها
برزت خلفهم تقوم وتكبو ... وحشاها ذابت بنار شجاها
وعلى رأسها قميص أبيها ... وعلى متنها استوى فرخاها
وهي تعدو خلف الوصي وتدعو ... بانكسار فلم يجيبوا نداها
أيها القوم أطلقوا صفوة الله إمام الأنام عقد ولاها
أو لأدعو الله العظيم بشجو ... فتخرّ الخضرا على غبراها
فأتاها العبد المشوم فأدمى ... متنها فانثنت تطيل بكاها
وهي منهم بمسمع وبمرأى ... نصب عينيهم تقاسي أذاها
آذياها عند الحياة ولما ... حضرتها الوفاة ما شيّعاها

دفنت في الدجى وعفّى علي قبرها ليته استطال دجاها
أفمثل ابنة النبي يوارى شخصها في الدجى ويُعْفَى ثراها

«الخطيب المصقع زينة الأدباء الأستاذ المحقق الشيخ محمد علي اليعقوبي»[١]:

ترك الصبا لك والصبابه صبٌّ كفاه ما أصابه
أنسته أيام المشيب هوىً به أفنى شبابه
أوبعدما ذهب الشباب مودعاً يرجو إيابه
وسرى به حادي الليالي للردى يحدو ركابه
هيهات دأبك في الهوى لم يحك بعد اليوم دابه
ليس الخليُّ كمن غدا رهن الجوى حلف الكآبه
ما شاب لكن الحوادث قد رمته بما أشابه
أسوان مما نابه والوجد أنشب فيه نابه
لم يدعه لبني الهدى داعي الأسى إلا أجابه
صبَّ الإله على بني صخر وحزبهم عذابه
لا جاز بالشام النسيم ولا همت فيه سحابه
سنّوا بها سبّ الوصيّ لدى الفرائض والخطابه
سدّوا على الآل الفضاء وضيّقوا فيهم رحابه

(١) نقلتها من كتابه «الذخائر» المطبوع في النجف سنة ١٣٦٩هـ.

حتى قضوا والماء حولهم ... وما ذاقوا شرابه
بالطف بين مصفد ... ومجرد سلبوا ثيابه
ضربوهم بمهند ... شحذ الأُلى لهم ذبابه
ولقد يعز على رسول ... الله ما جنت الصحابه
قد مات فانقلبوا على ... الأعقاب لم يخشوا عقابه
منعوا البتولة أن تنوح ... عليه أو تبكي مصابه
نعش النبي أمامهم ... ووراءهم نبذوا كتابه
لم يحفظوا للمرتضى ... رحم النبوة والقرابه
لو لم يكن خير الورى ... بعد النبيِّ لما استنابه
قد أطفأوا نور الهدى ... مذ أضرموا بالنار بابه
أسد الإلٰه فكيف قد ... ولجت ذئاب القوم غابه
وعدوا على بنت الهدى ... ضرباً بحضرته المهابه
في أي حكم قد أباحوا ... إرث فاطم واغتصابه
بيت النبوة بيتها ... شادت يد الباري قبابه
أذن الإلٰه برفعه ... والقوم قد هتكوا حجابه
بأبي وديعة أحمد ... جُرَعاً سقاها الظلم صابه
عاشت معصَّبة الجبين ... تئنّ من تلك «العصابه»
حتى قضت وعيونها ... عبرى ومهجتها مذابه
وأمضّ خطب في حشا الإ ... سلام قد أورى التهابه
بالليل واراها الوصيّ ... وقبرها عفّى ترابه

«للعلامة الحجة السيد محمد حسين الكيشوان رحمه الله »[1]:

ما لك لا العين تصوب أدمعا منك ولا القلب يذوب جزعا
فأيما قلب أتاه نبأ الشورى فما ذاب ولا تصدَّعا
أما وعى سمعك ما جرى بها فأي سمع فاته وما وعى
وما دريت باللذين استنهضا جاثية الغيِّ فهبَّت سُرَّعا
سلّا من الأحقاد سيف فتنة نتاجها من الضلال البدعا
وانتهزاها فرصة فاحتلبا من ضرعها كأس النفاق مترعا
واتبعا نهج الهوى وجانبا من الرسول شرعه المتَّبعا
فليت شعري أي عذر لهما وقد أساءا بعده ما صنعا

---

(١) هو ابن السيد محمد كاظم بن علي بن أحمد الموسوي الكاظمي الأصل النجفي المولد الشهير بالكيشوان. عالم فذ وشاعر فحل أوتي كثيراً من المواهب العلمية والأدبية كما أوتي مقدرة حسن الخط فقد كتب عشرات الكتب النادرة وكان من العلماء المرموقين في وسطهم حلو الحاضرة مليح النكتة صريح القول حديد الرأي له شعر كثير معظمه في آل البيت وله ديوان مخطوط شاهدته عند ولده الكبير السيد صادق وقد حوى أكثر شعره، وله قصائد خالدة في مراثي الإمام الحسين عليه السلام وكانت له حلقة تدريس يحضرها الكثير من رجال الفضل فهو من المجتهدين المحققين وله إحاطة بكثير من العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك ولد عام ١٢٩٥هـ في النجف وتوفي فيها ١٣٥هـ اقتطفنا ترجمته من كتاب «شعراء الغري» ج٣، تأليف الأستاذ المحقق الشيخ علي الخاقاني.

وأي قربى وصلا منه وعن ... عترته حبل الولا قد قطعا
فقل لتيم لا هديت بعدما ... طاف أخوك بالضلال وسعى
خف لداعي الكفر نهضاً فانثنى ... بثقل أعباء الشقا مضطلعا
فقام وهو يستقيل عثرة ... كبا على الغي بها فلا لعا
درى بأن فاطماً بضعته ... فما رأى حرمتها ولا رعى
كيف يطيب شيمة وعنصراً ... وعن أروم البغي قد تفرعا
واجتمع الناس عليه ضلة ... ففرقوا من الهدى ما اجتمعا
وأظهروا باطنة الكفر عمىً ... مذ أبصروها فرصة ومطمعا
وخالفوا نص الولاء بعدما ... أماط عن وجه الرشاد برقعا
وغادروا حق البتول نهلة ... تجرعوها بالضلال جرعا
وافتتنوا من ولع بسورة ... الدنيا فهاموا بالدنايا ولعا
وأودع الثقلين فيهم فأبوا ... أن يحفظوا لأحمد ما استودعا
وجمعوا النار ليحرقوا بها ... البيت الذي به الهدى تجمّعا
بيت علا سمك الضراح رفعة ... فكان أعلا شرفاً وأمنعا
أعزه الله فما تهبط في ... كعبته الأملاك إلّا خُضَّعا
بيت من القدس وناهيك به ... محطّ أسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى المرتجي والملتجي ... فما أعز شأنه وأمنعا
فعاد بعد المصطفى منتهكاً ... حريمه وفيئه موزعا
وأخرجوا منه عليّاً بعدما ... أُبيح منه حقه وانتزعا
قادوه قهراً بنجاد سيفه ... فكيف وهو الصعب يمشي طيِّعا

فعاد إلا أنه عن حقه ... صُدَّ وعن مقامه قد دفعا
ما نقموا منه سوى أن له ... سابقة الإسلام والقربى معا
وأقبلت فاطم تعدو خلفه ... والعين منها تستهل أدمعا
فانتهروها بسياط قنفذ ... وكسَّروا بالضرب منها أضلعا
فانعطفت تدعو أباها بحشىً ... تساقطت مع الدموع قطعا
يا أبتا هذا علي أعرضوا ... عنه ضلالاً وابن تيم تبعا
أهتف فيهم لا أرى واعية ... تعي ندائي لا ولا مستمعا
أمسى تراثي فيهم مغتصباً ... مني وحقي بينهم مضيعا
وانكفأت إلى علي بعدما ... تجرعت بالغيظ سماً منقعا
قالت أتغضي والنفاق صارخ ... حتى استعاذ الدين منه فزعا
ونمت عن ظلامتي عفواً وأنت ... الموقظ العزم إذا الداعي دعا
أحجمت والذئاب عدواً وثبت ... فأقحمت منك العرين المسبعا
ولنت أخدعيك في الضيم وما ... عهدت منك أن تلين أخدعا
وكيف أضرعت على الذل لهم ... خدك وهو للعدى ما ضرعا
عز عليك أن ترى تسومني ... من بعد عزِّ قيلةٍ أن أخضعا
تهضَّمتني بالأذى ولم أجد ... مأوىً إليه ألتجي ومفزعا
ألفيتها معرضة عني وما ... أبقت بقوس الصبر مني منزعا
فقال يا بنت النبيِّ احتسبي ... حقك في الله وخلِّي الجزعا
وأجملي صبراً فما ونيت عن ... ديني ولا أخطأت سهمي موقعا
فاسترجعت كاظمة لغيظها ... مبدية حنينها المرجعا

حتى قضت من كمد وقلبها كاد لفرط الحزن أن ينصدعا
قضت ولكن مسقطاً جنينها مولّعاً فؤادها مروَّعا
قضت ومن ضرب السياط جنبها ما مهدت له الرزايا مضجعا
قضت على رغم العدى مقهورة ما طمعت أعينها أن تهجعا
قضت وما بين الضلوع زفرة من الشجى غليلها لن ينقعا

«للشيخ حبيب شعبان رحمه الله»[1]:

سقاك الحيا الهطال يا معهد الإلف ويا جنة الفردوس دانية القطف
فكم مرَّ لي عيش حلا فيك طعمه ليالي أُصفي الود فيها لمن يصفي

---

(١) نقلت القصيدة من مجموعة الخطيب الأستاذ الشيخ مسلم الجابري والشيخ حبيب هو ابن الحاج مهدي ابن الحاج محمد الشهير (بشعبان). من أسرة عريقة في النجف. ولد في حدود ١٢٩٠هـ في النجف وتوفي ١٣٣٦هـ في رامبور إحدى مدن الهند كان من مشاهير شعراء عصره تعلو شعره متانة ورصانة ومرونة وحلاوة، رثى في شعره آل البيت فأكثر من مراثيهم كما مدحهم. وكان من الرجال الممتازين برجاحة العقل ودماثة الخلق عني والده بتربيته فأقرأه القرآن وتطلع إلى بعض الأفاضل فقرأ عنده مقدمات العلوم ثم سافر إلى كربلاء فقطنها ولازم خلال مكثه فيها العلامة السيد محمد باقر الطباطبائي فأخذ عنه الفقه، ثم سافر إلى الهند عن طريق البصرة وذلك عام ١٣٢٥هـ له شعر كثير ولكنه لم يجمع ديوانه كما لم ينبغ من أسرته من يتولى جمعه. اقتطفنا ترجمته من كتاب «شعراء الغري» تأليف الأستاذ الشيخ علي الخاقاني.

بسطنا أحاديث الهوى وانطوت لنا قلوب على ماضي المودة والعطف
فشتَّتنا صرف الزمان وإنه لمنتقد شمل الأحبة بالصرف
كأن لم تدرِ ما بيننا أكؤس الهوى ونحن نشاوى لا نملُّ من الرشف
ولم نقضِ أيام الصِبا وبها الصَّبا تمر علينا وهي طيبة العرف
أيا منزل الأحباب ما لك موحشاً بزهرتك الأرياح أودت بما تسفي
تعفّيت يا ربع الأحبة بعدهم فذكرتني قبر البتولة إذ عفّي
رمتها سهام الدهر وهي صوائب
بشجو إلى أن جرعت غصص الحتف
شجاها فراق المصطفى واحتقارها
لدى كل رجس من صحابته جلف
لقد بالغوا في هضمها وتحالفوا عليها وخانوا الله في ذلك الحلف
وما ورَّثوها من أبيها وأثبتوا حديثاً نفاه الله في محكم الصُحْف
فآبت وزند الغيظ يقدح في الحشا تعثر بالأذيال مثنية العطف
وجاءت إلى الكرار تشكو اهتضامها
ومدت إليه الطرف خاشعة الطرف
أبا حسن يا راسخ الحلم والحجى
إذا فرت الأبطال رعباً من الزحف
ويا واحداً أفنى الجموع ولم يزل
بصيحته في الروع يأتي على الألف
أراك ترانـي وابن تيم وصحبه
يسومونني ما لا أطيق من الخسف

ويلطم وجهي نصب عينيك ناصب الـ
ـعداوة لي بالضرب مني يستشفي
فتغضي ولا تنضي حسامك آخذاً بحقي ومنه اليوم قد صفرت كفي
لمن أشتكي إلّا إليك ومن به ألوذ وهلْ لي بعد بيتك من كهف
وقد أضرموا النيران فيه وأسقطوا جنيني فوا ويلاه منهم ويا لهفي
وما برحت مهضومة ذات علة تؤرِّقها البلوى وظالمها مغفي
إلى أن قضت مكسورة الضلع مسقَطاً
جنين لها بالضرب مسودة الكتف

«العلامة السيد محمد نجل حجة الإسلام آية الله في المسلمين السيد جمال الهاشمي أدام الله ظله»:

أيّ خطب يبكي عليه خطابي ومصاب قد شاب شهدي بصاب
آه يوم الزهراء أيّ فؤاد علويٍّ عليك غير مذاب
لك في الدهر رنة رددتها بخشوع أجياله واكتئاب
فهي نار تذكي القرون ونورٌ رفَّ لألاؤه على الأحقاب
وهي للمجد فيه للسا لك تبدو الصعاب غير صعاب
غاب نور النبي وانقطع الوحـ ـي وخارت عزائم الأراب
وارتمى موكب الحياة وجاشت نزعات النفاق في الأحزاب
فانطوى النور في ظلام كثيف نشرته جرائم الانقلاب
وانمحى الحق والصراحة لما ساد عهد الضلال والارتياب

موقف أربك العصور فأخفت رأيها في القلوب والأهداب
غضبة الحق ثورة تجرف الباطل في موج عزمها الوثاب
عجب أمرها وأعجب منه أنها تنتمي لذات نقاب
وإذا اللبوة الجريحة ثارت لهث الموت بين ظفر وناب
شمرت للجهاد سيدة الإسـ ـلام عن ذيل عزمها الصخاب
وأتت ساحة الجهاد بإيما ن يرد السيوف وهي نواب
حاكمت عهدها المدمى بقلب واغر من شجونها لهاب
لم تدع للمهاجرين والأنصار رأياً إلّا انمحى كالضباب
واستعانت بالحق والحق درع من أمان وصارم من صواب
رجمتهم بالمخزيات فآبوا وهم يحملون سوء المآب
حجج كالنجوم ينثرها الحق ويرمي الشهاب إثر الشهاب
فهي إما عقل وإما حديث جاء عن نص سنّة أو كتاب
فتهاوت أحلامهم كصروح شادها الوهم عالياً في السراب
آه لولا ضعف النفوس لما استرجع ركب الهدى على الأعقاب
ولما عادت الإمارة للقوم وحازوا إمامة المحراب
واستقرت هوج العواصف لما قابلتها سياسة الإرهاب
لا خطاب من عاذل لا جواب عن سؤال لا هجمة من عتاب
ومذ انهارت الرجال وعادوا بتلول من خزيهم وروابي
واختفى النص بالولاية لما أظهر الكيد فكرة الانتخاب
أوقد الغدر في السقيفة ناراً علقت في مواكب الأحقاب

وتلاشى «الغدير» إلّا بقايا تترامى بها بطون الشعاب
وتوالت مناظر مؤلمات مثلتها عداوة الأصحاب
من هجوم الأرجاس بالنار كي تحرق بيت الأكارم الأطياب
وانكسار الضلع المقدس بالضغط وسقط الجنين عند الباب
وانتزاع الوصي سحباً من الدار بتيار ثورة الأعصاب
واغتصاب الحق الصريح جهاراً باختلاق الأعذار للاغتصاب

«للأديب التقي السيد مهدي الأعرجي رحمه الله»:

ما بال عينيك دماً تنسكب ونار أحشاك أسىً تلتهب
أهل تذكرت عهوداً سلفت لزينب فأرقتك زينب
أم هل تشوفت ظباءً سنحت بالجزع أم راقك ذاك الربرب
أم هل شجتك أربُع قد درست فأخلقت جدتهن الحقب
أم هل دهتك الحادثات مثلما دهت فؤادي يوم طه النوب
يوم قضى فيه النبي نحبه فظلت الدنيا له تنتحب
وانقلب الناس على أعقابهم ولن يضر الله من ينقلب
وأقبلوا إلى البتول عنوة وحول دارها أُدير الحطب
فاستقبلتهم فاطم وظنها إنْ كلَّمتهم رجعوا وانقلبوا
حتى إذا خلت عن الباب وقد لاذت وراها منهم تحتجب
فكسروا أضلاعها واغتصبوا ميراثها وللشهود كذبوا
وأخرجوا (الكرار) من منزله وهو ببند سيفه ملبَّب

يصيح أين اليوم مني حمزة ينصرني وجعفر فيغضب
وخلفهم فاطمة تعثر في أذيالها وقلبها منشعب
تصيح خلّوا عن عليٍّ قبل أن أدعو وفيكم أرضكم تنقلب
فأقبل العبد لها يضربها بالسوط وهي بالنبي تندب
يا والدي هذا «علي» بعد عينيك على اغتصابه تألبوا
واعتزلوه جانباً وأمَّروا ضئيل تيم بعده ونصبوا
تجاهلوا مقامه وهو الذي بسيفه في الحرب قُدَّ مرحب
ولو تراني والعدى تحالفوا عليّ لما غيبتك الترب
وجرعوني صحبك الصاب وقد تراكمت منهم عليّ الكرب
ولم تزل تجرع منهم غصصاً تندكّ منها الراسيات الهضب
حتى قضت بحسرة مهضومة حقوقها وفيئها مستلب
وأخرج الكرار ليلاً نعشها وزينب خلفهم تنتحب
فقال للزكي سكتها فلا يسمع جهراً صوتها المحجب
فلو يراها بالطفوف والعدى منها الرداء والخمار تسلب
تجول في وادي الطفوف كي ترى أطفالها من الخيام هربوا
ثم انثنت نحو أخيها وإذا به على وجه الثرى مخضب

المحتويات

المقدّمة ٥
الزواج من خديجة ٩
النبي صلى الله عليه وآله يعتزل خديجة ١٧
الولادة ٢١
أسماؤها وصفاتها ٢٥
الزهراء عليها السلام ٢٧
خصائص الزهراء عليها السلام ٣١
الزواج ٣٧
حديث الوليمة ٤٩
حديث الزفاف ٥٣
حديث القلادة ٥٧
موقفها في المحشر ٦٥
تسبيح الزهراء عليها السلام ٦٩
حديث الكساء ٧٣
الحديث برواية المنتخب ٧٧
عصمة الصدّيقة عليها السلام ٨٩
مظلوية العترة ٩٣
بيت الزهراء عليها السلام ١٠١

حديث فدك ١١٥
خطبة الصديقة عليها السلام ١٢٧
(الخطبة الأولى) ١٣٣
جواب أبي بكر لها ١٤٠
ردها على أبي بكر ١٤١
جواب أبي بكر ١٤١
ردها عليه ١٤١
مع الأنصار ١٤٢
تعريض أبي بكر بعلي عليه السلام ١٤٥
جواب أم سلمة له ١٤٦
الزهراء مع أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٦
فدك عند الخلفاء ١٤٧
بكاؤها على أبيها ١٤٩
الخطبة الثانية ١٥٣
عيادة أم سلمة لها ١٥٦
مع ابنة طلحة ١٥٧
عيادة أبي بكر وعمر ١٥٨
العباس عائد لها ١٥٩
الوصية ١٦٠
في أيام العلة ١٦٣
يوم الوفاة ١٦٥
بعد الدفن ١٦٩
ماتت غضبى ١٧٢
حديث الغسل قبل الوفاة ١٧٣
تاريخ الشهادة ١٧٥

المراثي ١٧٩
الشيخ قاسم ١٨٠
ابن قريعة ١٨٠
لبعض أشراف مكّة المكرّمة ١٨١
الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ١٨٩
الشيخ عبد الحسين صادق العاملي، الشيخ محمّد حسين الأصفهاني ١٩٢
الشيخ ميرزا أحمد علي الأوردبادي ١٩٨
الشيخ محسن ابن الشيخ الأكبر صاحب الجواهر ١٩٩
الشيخ حسن الحلّي ٢٠٤
الشيخ محمّد علي اليعقوبي ٢١١
العلّامة السيّد محمّد حسين الكيشوان ٢١٣
الشيخ حبيب شعبان ٢١٦
العلّامة السيّد جمال الهاشمي ٢١٨
الأديب السيّد مهدي الأعرجي ٢١٨